كنيسة مارجرجس باسبورتنج





تأملات في سفر التكوين

القمص

لوقا سيدراوس

اهداءات ٢٠٠٢

كنيسة مارجرجس

الاسكندرية

كنيسة الشهيد العظيم مارجرجس
بإسبورتنج

تأمـــلات
فـــى
سفر التكوين

القمص لوقا سيداروس

مطبعة دير البرموس



قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وسائر أقاليم الكرازة المرقسية

(الـ ١١٧)

تك ١٢

دعوة إبراهيم :

قال الرب لابرام إذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أريك فأجعلك أمه عظيمة وأباركك واعظم اسمك وتكون بركة ، وابارك مباركيك ولاعنك ألعنه وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض . فذهب ابرام كما قال له الرب .

هى إذن دعوه للخروج ، الخروج من الأرض ، الخروج من العشيرة ، الخروج من بيت أبيه .

لقد كانت فى ذلك الزمان ، الأرض والعشيرة وبيت الأب والقرابة الجسدية هى كل ماللإنسان ، أعنى كل الكيان ، فالدعوة فى هذه الحالة هى خروج من الذات وانسلاخ من كل شئ ، وترك كل شئ .

ولكن السؤال الذى لابد أن نواجهه .. هل الترك على هذا النحو أمر سهل ؟ ، والجواب بكل تأكيد هو لا .

فحصن الذات قائم فى هذه الأمور ، الأرض ارتباط وملكية فيها تتعزز الذات والعشيرة كثرة وعزوه فيها تحتمى

الذات وتتضخم وبيت الاب قرابة اللحم والرحم فيها تسكب الذات محبتها وتجد لذتها وكفايتها .

فما بالك ان سمعت الذات دعوة الرب الإله أن تخرج من كل هذه ؟ .

أى تتعرى من كل مااختفت وراءه .

وتنزل من كل ارتفاعها الوهمى .

وتتخلى عن لذاتها وارتباطها .

بالحقيقة ليس بالأمر السهل .. إنها اشبه مايكون بالموت من كل ناحية فالبعد الفاصل سيصير كبيراً بمقدار ، بحيث يفصل والإثنين كفصل الموتى عن الأحياء ، فلا رؤيا ولا علاقة ولا مخالطة ولا سيرة ...

هو انعزال واعتزال .

هو انفصال وابتعاد .

هو تخلى وترك

والناس فى موضوع الرب الإله ينقسمون إلي فريقين

واحد يلبى الدعوة ويقبلها ويسير بمقتضاها

وآخر يرفض الدعوة ولايقيم لها وزنا .

والدعوة من نحو الله واحدة فى كل زمان وفى كل مكان

بدايتها فى جميع الأحوال هى هى لاتتغير
أن يترك الإنسان الكل ليلتصق بالواحد
أن يبيع كل ماله ليقتنى الجوهرة كثيرة الثمن
ان يترك كل شئ ويتبعه
وهذا مافعله أبو الآباء ، فخرج
وهذا هو سر القديسين منذ البدء ، فاطاع

وظلت حياة إبراهيم منذ اللحظة التى فيها احنى رأسه ووضع نفسه عبداً للطاعة ظلت حياته سلسلة من الخروج ، والانسلاخ ، من مرحلة إلى مرحلة فى كل درجات المجد الذى ارتقى إليه حتى دعى خليل الله .

إذن الخروج الأول (من الذات) هو بداية لابد أن يتبعه خروج آخر ، وثالث وهكذا ..

وكل الذين ساروا فى خطوات ايمان ابراهيم استحقوا أن يدعوا أولاد ابراهيم ليس بحسب الجسد ، بل بحسب الروح ، لان أولاد الجسد لايعدون أولاداً بل المولودين بالوعد فى الروح .

كم مرة احتج الكتبة والفريسيون وقالوا نحن اولاد ابراهيم ، ولكن الرب كان يوبخهم قائلا : لو كنتم أولاد ابراهيم لكنتم تعملون أعمال ابراهيم .

ولكن ماذا نسمى طاعة ابراهيم لصوت الدعوة الإلهية وخضوعه الكيانى لها ؟

انها الايمان عديم الرياء ، الايمان العملى ، كما قيل انه بالاعمال اكمل الايمان فحسب له ايمانا براً .

خرج وهو لايعلم إلى أين يأتى ! « عب ١١ » .

هكذا شهد الرسول بولس عن أب الاباء ، انه لما دعى أطاع وخرج وهو لايعلم إلى أين يأتى .

لقد ألقى رجاءه بالتمام ، فى تسليم كامل للمشيئة ، كمن خرج وهو حامل صليبه .

دعوة بالبركة :

وراء ستار الترك والتخلى والخروج من الأهل والعشيرة وراء كل هذه تكمن وعود الله التى بلا ندامه ، وعود البركة والكثرة ، وعود المجد الذى لايستقصى وكما تكمن كل بركات القيامة فى الصليب بكل آلامه وأوجاعه ، هكذا هو الحال كما هو مكتوب على كل مجد غطاء ،

فغطاء الآلام والاتعاب وغطاء الجلود المحمرة فوق خيمة الاجتماع كان يستر بهاء مابعده بهاء معبر عنه بحضور الرب واجتماعه مع شعبه فى مثال وشبه السماويات .

هكذا وعد الرب ابراهيم أن يجعله أمه عظيمة ، واباركك واعظم اسمك وتكون بركة وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض .

البركة فى العهد القديم كانت تخص الجسد والأمور المادية ، حيث انحصر الانسان واغلق عليه فى الجسد بعد أن عدم الحياة بحسب الروح حينما سقط فى الغواية من فردوس الحياة الروحية وسقط من رتبته إلى التراب وارض الشوك وصار محصورا فيها منتهياً إليها عائداً إلى التراب الذى اخذ منه لامحاله .. على هذا اصبح اسير الزمن واقعاً تحت سلطان الظلمة ، وعلى هذا ايضا صارت البركة ان اعطت الأرض قوت الجسد وكثرت له الثمر فيما اعتبره ثروة أو غنى وقد صح العكس ايضا فاللعنة أن تأتى مواسم الأرض على غير توقع فيشيح القوت وتذوى الأفراح ويضرب الإنسان بالفقر والعوز تتبعه الأمراض وتفتك به المجاعات .

فهل كان وعد الله لإبراهيم بالبركة من هذا القبيل ؟

من الواضح أن اب الآباء صار له فيما بعد غنى جزيل ولكن الرجل سكن فى حياة الغربة معداً بهذا المظهر الخارجى عن حقيقة داخلية عظمى عاشها بكل كيانه إنه غريب وجائل وعبرانى أى عابر من هذه الأرض ليس له فيها إقامة أو مدينة باقية ولكنه ينتظر العتيدة المدينة التى لها الاساسات وكأنه كان يترجم كلمات القديس بولس الرسول قبل قولها بآلاف السنين .

ان نقص بيت خيمتنا الارضى فلنا بناء فى السماء ، بيت غير مصنوع بيد أبدى

فالذى تجرد هكذا من الذات وكل مايخصها من اب وام واهل وعشيرة واملاك ومقتنيات هل يكافئه الرب بالفانيات بدل الفانيات والزوال بدل الزوال وبالارضيات بدل الارضيات .. حاشا .

فالرب يعطى السمائيات عوض الأرضيات والروحيات عوض الجسديات ، فالبركة التى وعد بها الرب لإبراهيم هى أن يجعله أمه عظيمة ، أى كنيسة مجيدة ، وشعب

اقتناء وامه مقدسة كما قال القديس بطرس الرسول لكى تخبروا بفضل الذى دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب .

والبركة ايضا احتوت أن يعظم الرب اسم ابراهيم ويباركه ، فيصير اسمه رمزا للبركة وانموذجا للسير فى الطريق حتى تتبارك كل ورثه ايمان ابراهيم فى ابراهيم المؤمن وجميع الذين يسيرون فى خطوات ايمان ابراهيم ينالون ذات الموعد بالبركة من فم الرب الإله .

ومما يلذ للنفس أن تتأمله قول الرب لابراهيم وتصير بركة .. أى انه هو نفسه فيما قد صار مباركا من الرب اصبح هو بحد ذاته بركة يبارك الرب به وبواسطته ، يصير وجوده اينما حل بركة للمكان وبركة للمحيطين به ..

ايضا تأمل قول الرب انه يبارك مباركيه (أى الذين يباركون ابراهيم) يباركهم الرب ، بينما يقول ولاعنك ألعنه .

فبينما مباركوا ابراهيم كثيرون إلا ان لاعنه واحد (وهو عدو الخير)

فان كان العدو يحسد ويلعن طريقنا فى المسيح – إلا ان القديسون حولنا وسحابة الشهود الذين يباركون علينا قد

صاروا بالكثرة كمثل نجوم السماء والرمل الذى على شاطئ البحر .

تتبارك فيك جميع قبائل الأرض

هذا هو لب الموضوع ، شخص يسوع المسيح ، لأن شهادة يسوع المسيح هى روح النبوه ، جميع قبائل الأرض المتفرقة ، أتى المسيح ليجمعها بالبركة فى شخصه ؛ ليس ختان أو غرله بربرى أو سكيثى ، عبد أو حر ، رجل أو امرأة ، بل فى المسيح يسوع تذوب الفوارق وتختفى الخلافات والتناقضات والانقسامات ، المسيح هو ابن ابراهيم كما هو مكتوب « كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن ابراهيم » (متى ١:١) كما بشر به الانجيليون فى مستهل بشارتهم من أول كلمة كتبت عنه .

فذهب ابرآم كما قال له الرب :

الإيمان ثقة وإيمان بأمور لاترى ومواعيد لم تتحقق بعد ، والطاعة والخضوع والتنفيذ يحول الإيمان إلى مرئيات محسوسات ، هكذا إن لم يخرج الايمان إلى حيز التنفيذ فلن ينتفع به أحد .

ايمان بدون اعمال ميت فى ذاته

والجميل فى حياة ابو الآباء انه أول من يترجم الايمان إلى اعمال بتلقائية عجيبة ، فما ان يسمع صوت الرب الإله حتى يحول اعماله وحياته وحركته مضبوطة بقول الرب مقوده بروحه .

ماذا لو أن الايمان ظل حبيس القلب والعقل ؟

ماذا لو ان مخترع الكهرباء مثلاً ، احتفظ باختراعه فى فكره وعقله ، ولم يخرج به إلى حيز التنفيذ للحياة العملية ؟ هكذا يكون الحال - والتشبيه مع الفارق - إن كان الايمان لايترجم إلى أعمال وحياة وسلوك .

على هذا النحو نرى ان ايمان ابراهيم ابونا صار عظيماً بمقدار ماصار ايمانا عمليا لابالكلام واللسان ولا بالفكر والعقل ولابالعاطفة والقلب ، بل بالحرى بالعمل والحق ، الطاعة والتنفيذ حتى إلى الموت حتى إلى الصليب .

وكان الكنعانيون حينئذ فى الأرض

وظهر الرب لابرام وقال لنسلك اعطى هذه الارض

فبنى هناك مذبحا للرب الذى ظهر له

ثم نقل من هناك إلى الجبل شرق بيت إيل ونصب خيمته وله بيت إيل من المغرب وعاى من المشرق فبنى هناك مذبحا للرب ودعا باسم الرب .

من ناحية السيد الرب ، فانه يلذ له ان يجدد مواعيده العظمى والثمينة بين الحين والآخر ويضعها قدام ناظرى اولاده الذين يسيرون قدام وجهه بخوف ويتبعونه بايمان وامانه .

وهذه الجرعات من التشجيعات تكون للنفس بمثابة ومضات من النور الفائق تظهر بين الحين والاخر فتجدد جذوة النار الإلهية داخل النفس ، وتنير الطريق وتوضح ملامحه بالأكثر وتجعل المسيرة التى بدأت لاتفقد الهدف الذى من اجـله خرجنا .

هذه هى معاملات الله مع السائرين فى الطريق ، سلسلة من التعزيات ، وافتقادات النعمة ، لاسيما للنفوس التى خرجت للتغرب وتركت عنها تعزيات العالم وتنعم المسرات الزمنية .

والمقابل من ناحية ابراهيم كان زيادة فى الالتصـاق بالـله ، مزيد من الطاعة والتمسك ، مزيد من الرجاء والتطلع .

ولكن كيف يعبر اب الاباء عن هذه وهو الذى يترجم الايمان إلى اعمال ؟

كانت الترجمة الحقيقية لكل هذه الأمور فى بناء مذبحاً للرب فى كل مكان حل فيه أو تقابل فيه مع الرب ، أو سمع صوت تعزيات الرب الإله ..

المذبح والذبيحة هى العبادة الحقيقية والشكر الحقيقى والالتصاق الحقيقى وليس من عرف المذبح والتصق به مثل اب الاباء .

لانه ليس من عرف المسيح مذبوحاً بيد الاب كما عرفه ابراهيم اذ اشتهى ان يرى يوم المسيح فرأى وفرح كما قال الرب يسوع .

لذلك فان المذبح عند ابراهيم اب الاباء لم يكن فريضة إذ لم تكن فرائض آنذاك والمذبح فى حياة ابراهيم لم يكن طقس أو ناموس ، أو واجب من واجبات العبادة . كان المذبح فى حياة ابراهيم ابونا .. مذبح الحب الحقيقى الذى بلغ اقصى مايستطيع قلب الانسان ان يتسع له وينفعل به لقد كان مذبح الحب فى قلب ابراهيم قبل ان يبنيه فى الخارج .

وحدث جوع فى الارض فانحدر ابرآم إلى مصر ليتغرب هناك هذه بداية العثرات فى الطريق ، جوع فانحدار نحو مصر عبر عنه الروح بالتغرب ، وهنا السؤال ، ألم يكن إبراهيم غريباً متغرباً ، تاركا الاهل والعشيرة ؟

فلماذا قال الروح انه انحدر إلى مصر ليتغرب هناك ؟ .. إنها غربة غريبة حيث يجنح الانسان هارباً من الجوع جزعاً من الضيق ، لعله يجد منفذا ومخرجاً ودون ان يدرى يجد نفسه فى غربة غريبة تختلف جوهرياً عن حياة الغربة التى يقوده الروح فيها ، على ان الرب الإله فى حنانه العطوف ولطفه الحانى ، لايترك ابراهيم فى غربته بل ينزل معه ليصعده من أرض غربته .

سارة فى بيت فرعون ..

قال أب الآباء لسارة أن تقول انها اخته لئلا يقتل بسببها ، وقد كان ، فاخذت سارة إلى بيت فرعون واحسن فرعون لإبراهيم بسببها فصار له غنى جزيل من غنم وبقر .

قد يكون الدافع لهذا التصرف هو الخوف الطبيعى وحب البقاء المغروس فى حياتنا ، أو ان الطبيعة البشرية الساقطة هكذا تسلك اذا توجست مخاوف ، فتحسباً لما

يحدث تقبل طرقا قد لا تكون مستقيمة ، أو تلجأ للحيلة وتبرر الوسيلة للبلوغ إلى غاية من غاياتها .

قد يكون كل هذا أو غيره من الأسباب التى حدت بأب الآباء أن يفعل هكذا ولكن لسنا من هواه الغوص فى زلات الآباء أو تحليل مواقف ضعفهم أو تفنيد خطاياهم ، فمن الأمور المسلم بها والتى لاتحتاج إلى تعليل ان الجميع اخطأوا واعوزهم مجد الله وانه ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد إذ ليس احد صالح إلا الله وحده .

فما من أحد وجد بغير خطية ، ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض إذ اغلق على الكل تحت الخطية ، لان الطبيعة كلها كانت واقعه تحت سلطان روح الظلمة وبلا استثناء فمولود المرأة بالأثام حبل به وفى الخطايا اشتهته امه كما يقول المرتل .

ولكن بالمقارنة مع غيره من البشر ، يظل ابراهيم ابونا شامخاً بقامته الروحية العالية وايمانه البطولى وحبه الفائق لله وعلاقته الفريدة مع القدير .

أليس هو المدعو من الله خليله ، وحبيبه ، الذى لايكتم الرب عنه سراً ولايخفى عنه امراً ؟

لذلك نحسب انه من النافع لنا اننا حينما نتعرض بالتأمل لحياة أحد رؤساء الآباء مثل ابراهيم ابينا ان نلتمس باتضاع ان ننال بركتهم وشفاعتهم ونجاهد أن نأخذ من منهاج حياتهم وحلو عشرتهم درساً نافعاً للحياة كمن يتربى ويتتلمذ عند اقدامهم بكل وقار واتضاع وكل مخافة ومهابة إذ نحسب انفسنا اننا غير مستحقين حتى للجلوس عند اقدامهم .

وان كان ثمة اخطاء أو هفوات أو زلات أو ضعف البشر ، فمن نحن حتى نفحص بجرأة فيها أو نلوم الأباء القديسين عليها ؟

هذا درس واجب ان ننتبه إليه كلما اقتربنا من سير الآباء القديسين لعلنا نشتم من حياتهم رائحة المسيح وحسبنا .

فضرب الرب فرعون وبيته بضربات عظيمة بسبب ساراى امرأة ابرآم فدعا فرعون أبرام وقال ماهذا الذى صنعت بى . لماذا لم تخبرنى انها امرأتك لماذا قلت هى أختى حتى آخذها لى لتكون زوجتى . والآن هوذا امرأتك خذها واذهب .

قال المرنم فى المزمور ، لم يترك انسانا يظلمهم وبكت ملوكاً من اجلهم ، قائلاً لاتمسوا مسحائى ولاتسيئوا إلى انبيائـى .

هذه هى أمانة الرب من جهة احبائه ومواعيده لخائفى اسمه وحافظى وصاياه ، وقد تكرر هذا الأمر مع ابراهيم ايضا مع ملك جرار وتولى الرب بنفسه الدفاع ، عن خليله واعاد اليه ساره دون ان يمسها أحد .

فى الواقع ان سارة كانت اخت ابراهيم من جهة ابيه غير انها ليست ابنة امه وكان ان طلب ابراهيم اليها قائلا « قولى انك اختى ليكون لى خير بسببك وتحيا نفسى من اجلك » .

نرى من النافع ان نعرض هنا الحادثة المثيلة المدونة فى الاصحاح العشرين عندما انتقل ابراهيم إلى ارض الجنوب وسكن بين قادش وشور وتغرب فى جرار وقال عن سارة انها اخته فارسل ابيمالك ملك جرار واخذ سارة ، فجاء الله إلى ابيمالك فى حلم الليل وقال له ها انت ميت من أجل المرأة التى اخذتها فانها متزوجة ببعل ، ولكن لم يكن ابيمالك قد اقترب اليها فقال ياسيد أأمه باره تقتل ؟ الم

يقل هو لى انها اختى وهى ايضا نفسها قالت هو أخى ، بسلامة قلبى ونقاوة يدى فعلت هذا ، فقال له الله فى الحلم انا أيضا علمت انك بسلامة قلبك فعلت هذا وانا ايضا امسكتك عن ان تخطئ الىَّ . لذلك لم أدعك تمسها ، فالآن رد امرأة الرجل فانه نبى فيصلى لاجلك فتحيا ، وان كنت لست تردها فاعلم انك موتا تموت انت وكل من لك .

فبكر ابيمالك فى الغد ودعا جميع عبيده وتكلم بكل هذا الكلام فى مسامعهم فخاف الرجال جداً . ثم دعا ابيمالك ابراهيم وقال له . ماذا فعلت بنا وبماذا اخطأت اليك حتى جلبت علىَّ وعلى مملكتى خطية عظيمة . اعمالا لاتعمل عملت بى . وقال ابيمالك لابراهيم ماذا رأيت حتى عملت هذا الشئ فقال ابراهيم انى قلت ليس فى هذا الموضع خوف الله البته فيقتلوننى لاجل امرأتى . وبالحقيقة ايضا هى اختى ابنة ابى غير انها ليست ابنة أمى فصارت لى زوجه .

وحدث لما اتاهنى الله من بيت ابى انى قلت لها هذا معروفك الذى تصنعين إلىَّ فى كل مكان نأتى إليه قولى عنى هو اخى فاخذ ابيمالك غنماً وبقراً وعبيداً وإماء

واعطاها لابراهيم ورد اليه سارة امرأته وقال ابيمالك هوذا ارضى قدامك اسكن فى ماحسن فى عينيك وقال لسارة انى قد اعطيت اخاك الف من الفضة هاهو لك غطاء عين من جهة كل ماعندك وعند كل واحد فانصفت .

فصلى ابراهيم إلى الله ، فشفى الله ابيمالك وامرأته وجواريه فولدن لان الرب كان قد اغلق كل رحم لبيت ابيمالك بسبب سارة امرأة ابراهيم .

طاعة امنا سارة

ونحن هنا نشير إلى كم كانت امنا سارة مطيعة بالحق لابينا ابراهيم تلك التى كانت تدعوه سيدى ، لاطاعة الكلام ، بل حتى إلى بذل النفس .

وما ان طلب اليها اب الآباء قائلا هذا هو معروفك التى تصنعين ، وهما بعد فى بداية ارتحالهما .. حتى خضعت بالطاعة دون ادنى اعتراض ، وهى اذ عرضت بالطاعة نفسها لقبول الاخطار ، كانت كمن يضع نفسه لاجل آخر ، يهان هو لكى يكرم الآخر ، يهلك هو لكى يخلص الآخر ، ينقص هو لكى يزيد الآخر ، وهذه هى المحبة الحقيقة فى جذورها واعماقها الأصيلة .

وهى اذ اخضعت ذاتها لقانون المحبة ، لم تسقط ، ولم تهلك ، ولم يمسسها شئ من الضرر ، لانه ليس من اتبع قانون المحبة وبذل الذات وهلك ، وليس من سعى فى طريق الاتضاع وانحدر ، بل على العكس من يضع نفسه يرتفع ، ومن يهلك نفسه يخلصها كما قال الرب .

ليس نفسها فقط ، بل صار هذا سبب خلاص لابراهيم ايضا ، إذ قد رجع هذا السلوك الروحى فى التفريـــط فى الذات ، رجع على ابراهيم بالخير الوفير كرامة من الله وغنى ومجد وكرامة من الناس ايضا .

طاعة سارة وطاعة اسحق :

ان كانت امنا سارة قد وصلت فى فعل الطاعة إلى اقصى مايمكن ان تصل إليه امرأة فى الخضوع ، حتى اننا لانجاوز الحق حينما نقول انها على مستوى الذبيحة قدمت ذاتها طواعية ، كما للموت من أجل حياة ابراهيم محبة واكراما وتفضيلا .

وان كنا فيما بعد ندهش للطاعة المطلقة الطفولية التى صارت لاسحق الذبيح برضى القلب وخلوص النية ابنا

للطاعة وواهبا حياته فدية على شكل الذبيحة الحقيقة التى قدمت بطاعة الابن الوحيد .

وإن كنا نرى صنعة الطاعة هذه وقد كست الام والابن جميعاً فاننا نقول ان هذا الايمان الحى والطاعة المطلقة انما هى فى الواقع الاثر الايجابى العملى لطاعة ابراهيم الذى لما دعى اطاع فخرج وهو لايعلم إلى اين يمضى .

وهذه القاعدة لاتخيب ، فان وجد رب البيت بايمان ابراهيم فليس اقل من ان توجد ثمرة ايمانه فعاله فى محيط الزوجة والاولاد .

وان كان ابراهيم دعى بالطاعة والايمان اب لجميع الذين يطيعون الكلمة فى ايمان ، فان امنا سارة بطاعتها وبذل ذاتها استحقت ان تصير اما للنساء المتوكلات على الله ولجميع الذين سعوا خطوات الايمان عينه « راجع بطرس الرسول » .

سلامة القلب وطهارة اليد :

لايفوتنا ان ننوه إلى مبدأ روحانى نستخلصه مما حدث لابيمالك ملك جرار فالرجل أخذ امنا سارة إلى بيته ،

بسلامة القلب وطهارة اليد ، ليس غدراً ولا اضطراراً ، وليس شهوة أو رغبة فى الفساد ، ولكن ببساطة شديدة فى القلب ونقاوة ، إذ علم انها اخت ابراهيم ود لو يقتنيها زوجة له ، سار الرجل سالكا سبلاً مستقيمة ، فى النية والقلب واليد جميعاً .

ولكن الله العارف قلب كل واحد ، إذ علم سلامة نيته ونقاوة قلبه ، ظهر له فى الحلم وكلمه هذا الكلام الإلهى الذى لابد ان نلتفت اليه بعقل وفهم .

الاصحاح ١٣

فصعد ابرآم من مصر .. وسار فى رحلاته من الجنوب إلى بيت ايل .. إلى المكان الذى كانت خيمته فيه فى البداءه .. إلى مكان المذبح الذى عمله هناك أولاً ودعا هناك ابرآم باسم الرب .

قال الرب للمجدلية بعد قيامته ، اعلمى اخوتى ان يذهبوا إلى الجليل هناك يروننى .. أى إلى مكان البداية .. حيث يروه كما من جديد ، لتجديد الوعود والعهود وتجديد القلب والفكر وكل الكيان ، وتجديد الايمان وتجديد الخلقه كلها هذا هو المبدأ الروحى الذى

رسخ فى حياة القديسين وبلا استثناء عود إلى البداية ، إلى مكان البداية ، وقوة البداية حيث نبتت البذرة الأولى وحيث نبع الحب الأول .

هكذا رجع ابراهيم ابونا من مشوار الغربة ، واستقرت خيمته فى بيت ايل - بيت الله ، حيث المذبح الذى بناه أولاً .

بعد ان نتغرب فى مصر بكل مافى الغربة من مخاطر وضيقات ، نعود راجعين إلى مكاننا الأول .

بعد ان رجع الرسل من ارساليتهم ، رجعوا إلى الرب وحدثوه بما فعلوا .. نحتاج دائما إلى مكان بدايتنا - حيث صار عهدنا مع الله القدير - حيث نتنفس الحياه من جديد ونستريح على صدر المحب . هناك يتجدد كالنسر شبابنا .

كثير من المبادئ ، تحتاج إلى مكان البداية وإلا تتغير إلى مسار آخر نحتاج للبداية لكى لانفقد الحرارة الأولى .

قال الرب بفم ارميا النبى « ذكرت لك محبتك الأولى »

وقال لملاك كنيسة افسس « لى عليك انك تركت محبتك الأولى » .

فى حياتنا ، مكان البداية هو الكنيسة - بيت ايل - المعمودية هى مكان البداية والمذبح الذى بنى أولاً داخل القلب - حيث قدس العلى مسكنه فى اعماق القلب والنفس .

إلى هناك يجدر بنا الرجوع كل حين ، كلما اختلفت بنا الأيام وسرنا فى دروب الغربة منحدرين إلى مصر للتغرب لاكل خبز الأرض ..

ماأن تحين الفرص للصعود من مصر ، إلا ونرتحل فى مراحل متدرجين فى صعودنا إلى مكان المذبح - تجاه وجه الله - الذى يجدد شبابى هذه هى التوبة فى قوتها - رجوع إلى الينابيع الأولى - حيث نبع الحياة الأبدية وأشواق المذبح الأولى تلهب المشاعر وتسكب دموع الحنين حيث نجدد عهود الحب والحياة .

لم تحتملهما الأرض :

لوط السائر مع ابرآم كان له ايضا غنم وبقر وخيام ولم تحتملهما الأرض أن يسكنا معاً ، إذ كانت املاكهما

كثيرة ، فلم يقدرا ان يسكنا معا ، فحدثت مخاصمة بين رعاة مواشى ابرآم ورعاة مواشى لوط .

لقد حسب منذ البداية أن لوط البار صار شريكا لابراهيم فى مشوار التغرب فى تبعية الرب والسير أمام الله فى طريق الكمال .

وكان إذ تكاثرت الاملاك ، ضاقت بها الأرض على اتساعها ، فالأرض مهما أوسعت ورحبت فهى ضيقة .

بدأت المخاصمة بين رعاة مواشى ابرآم ورعاة مواشى لوط ، أى فى مجال الاملاك والمقتنيات والثروة ، أى فى الأمور المادية ، والذين يهتمون بها من جهه ابراهيم ولوط .

إن اب الآباء كان خالصاً فى بيته موجهاً القلب والفكر فى الوطن السماوى اذ هجر الوطن الأرضى هجراناً قلبياً كاملاً ، لذلك لم تعوق الاملاك ولا المقتنيات مسيرته ولاعطلت هدفه ولاقيد أنملة .

وربما كان حرص لوط البار يقل عن ذلك أو أن الهدف لم يكن فى درجة الوضوح فى داخل القلب ، وليس ذلك بعجيب ، إذ ان لوط كان تابعاً لابراهيم يستمد من

وجوده فى معيته قوته الدافعة للسير فى مشوار الحياة بالروح ، وبديهى ان اصحاب الأهداف السامية يجذبهم وضوح الهدف جذبا قوياً وتدفعهم خالص النيات دفعا يلهب شوقهم بالأكثر بينما الذين يتبعونهم يسيرون فى اثرهم ويتعقبون خطاهم ولكن ليس بقدر الرواد مهما بلغ بهم الاخلاص .

على هذا نجد استحسان لوط البار لأرض سدوم إذ رأها كجنة الرب كارض مصر وعلى هذا استبدل خيام الغربة التى كانت له فى معية ابراهيم التى هى دليل الغربة والتغرب عن العالم استبدلها ببيت يشير إلى الاستقرار الارضى وربط الحياة بجذور فى هذا العالم ، الأمر الذى يستحيل معه ان يحيا الانسان احاسيس الغربة كاملة نقية من الشوائب .

فقال ابرآم للوط لاتكن مخاصمة بينى وبينك وبين رعاتى ورعاتك لاننا نحن اخوان أليست كل الأرض امامك اعتزل عنى ، إن ذهبت شمالا فانا يميناً وان يميناً فانا شمالاً .

لاتكن مخاصمة بينى وبينك

ان تأتى المبادرة روحياً من جهة ابراهيم ، محب للسلام فى اتضاع قائلا نحـــن اخـــوان ، وهو الاكبر فى كل شئ والأول فى كل شئ ان تأتى مبادرة المحبة والرغبة فى السلام من ابراهيم هذا أمر طبيعى ومن العجيب أن يترك ابراهيم للوط حق الاختيار ، اختار انت فان ذهبت يميناً فانا شمالاً ، وان شرقاً فأنا غرباً ، فالشمال واليمين ، عند اب الآباء يستويان ، والشرق والغرب لافرق بينهما طالما هو قد وطن قلبه فى الوطـن السماوى ، وطالما كان بالإيمان متغربا فى ارض الموعد كأنها غريبة ، إذ تيقن فى نفسه انه غريب على الأرض وانه طالب وطناً أفضل وباقيا ، فهو والحال هكذا استوت عنده الأرض كلها حلوها ومرها فقرها وغناها ، ضيقها وسعها .. واذ امتلك المقتنيات كان حريصا ان لاتمتلكه هى بل ظل متحرراً منها ، فاذ كانت فى حوزته كانت كانها ليست له واذا فقدت لم يصبه ضرر إذ كان عبرانيا حقيقياً ، عابراً عليها غير مربوط بها جميعاً .

فإختار لوط لنفسه

رفع لوط عينيه ورأى كل دائرة الاردن ان جميعها سقى .. كجنة الرب كارض مصر ، فاختار لوط لنفسه كل دائرة الاردن وارتحل لوط شرقاً فاعتزل الواحد عن الاخر .

هذا مكمن الخطر ، ان يختار الانسان لنفسه ، أليست للرب طريق الانسان ؟ لقد بدأت المسيرة بالخروج والتغرب ، وبدأت بالدعوة من فم القدير ، وارتكزت الحياة كلها معلقة بكلمته ووعده هو يقودها ويسيرها ، ولكن ان نختار لانفسنا ، ومايحسن في اعيننا فهناك خطر مخفى سيظهره انحسار الزمن وتوالى الأيام حينما ينضج الثمر .

وثمرة الاختيار الارادى دون سؤال مشورة الله ، ثمرة ما امرها وما اقساها .

دع الاختيار فى الحياة كلها للرب الذى يقودك فى مراع خضر وماء الراحة ، حتى لو بدا انه اختيار مر ، فالمر الذى يختاره لى الرب خير من الحلو الذى اختاره لنفسى .

ولوط سكن فى مدن الدائرة ونقل خيامة إلى سدوم ، وكان أهل سدوم اشراراً خطاه لدى الرب جداً .

قد يتبادر إلى الذهن سؤال فيه كثير من التحايل وفيه كثير من الاعتداد بالذات والثقة فى النفس ، وهو سؤال متكرر ماتكررت الأجيال ، يقول القائل ، مادام الرجل لوط بار وقديس ، ومادام بيته يسلك فى مخافة الله وهو يعلم بناته طريق الحياة مع الله ، فلماذا المخاوف من سكناه فى سدوم ؟ .

ألست تعلم أيها الحبيب ان المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة ؟ ألم يقل الكتاب فيما بعد أن البار كان يتعذب كل يوم بالسمع والنظر مغلوب من سيرة الأشرار .

ثم ماذا كان مصير الزوجة ؟

ثم ماذا اصاب الاولاد من جراء السكنى بين الأشرار ؟

انها خسارة مابعدها خسارة .

ولو لم يرسل الرب ملاكيه للخلاص ، لم يكن ليخلص أحد من نار الحريق ولا من نار الشهوات الملتهبة .

أما فيما يختص بمثل هذه الخطايا وروح الزنى العامل فى اولاد العالم فخير وسيلة للنجاه هى الهروب كما يقول الكتاب « اهربوا من الزنى » .

أما الشهوات الشبابية ، فاهرب منها ..

وقال الرب لابرآم بعد اعتزال لوط عنه ، ارفع عينيك وانظر من الموضع الذى أنت فيه شمالاً وجنوباً وشـرقاً وغـرباً ، لان جميع الأرض التى انت ترى لك اعطيها ولنسلك إلى الأبد ، واجعل نسلك كتراب الارض حتى إذا استطاع أحد ان يعد تراب الأرض فنسلك ايضا يعد ، قم امش فى الأرض طولها وعرضها لانى لك اعطيها . فنقل ابراهيم خيامه واتى وأقام عند بلوطات ممرا التى فى حبرون بنى هناك مذبحاً للرب .

قال مار اسحق . من سعى وراء الكرامـة فانها تهرب منه ، ومن هرب منها بمعرفة فانها تتبعه وترشد اليـه آخرين .

قال الرب لابرآم ارفع عينيك من الموضع الذى انـت فيه ، كان ابرآم فى موضع الزاهد فى العالم ، فى موضع المتنازل وغير الراغب فى التراب ، فى موضع صانع السلام وصانع الخير لآخرين ، فى موضع المتضع الذى يضع نفسه ليرفع الآخر من هذا الموضع بحسب الروح ، أى من هذا المركز الذى اتخذه ابراهيم منطلقاً للتصرف ، كلمة الرب مكافئاً اياه بمواعيد وتعزيات تزول دونها السموات ،

من ذلك الموضع الذى ارتقى اليه ابراهيم واقتفى له مركزاً حسناً فى الايمان صار يحق له ان ينظر بعين الايمان هذه شمالا وجنوباً وشرقاً وغرباً فى ضوء الصليب المحيى واهب الحياة فيرى نسله الذى فيه تتبارك جميع قبائل الارض فى المسيح يسوع ، ويرى نسله وارثا وله ميعاد الحياة الحاضرة والعتيدة إذ تصير الارض كلها للرب ولمسيحه .

فى هذا يصبح قول الرب ارفع عينيك قولا سرياً لايستطيع ان يدركه إلا من سار فى خطوات ابينا ابراهيم وصار وارثاً ايمانه ومتمسكاً به إلى النفس الأخير ..

فنقل ابراهيم خيامه .. أى جاء هذا الانتقال بناء على ماسمعه ورآه ، على هذا الرجاء نقل ابراهيم خيامه ، على الكلمة والوعد التى استلمها من فم الرب انتقل درجة أعلى فى الايمان وتقدم مرحلة من مراحل الارتقاء نحو الوطن السماوى وأتى وأقام عند بلوطات ممرا التى فيها استحق أن يعاين الله ويستضيفه ، وبنى هناك مذبحاً للرب ، هذه هى غاية اب الآباء إذ من خلال المذبح والذبيحة صارت حياته فى غنى الروح ، إذ استغنى بالذبيحة عن كل ماهو على الأرض وصار سر المذبح هو سر حياة ابراهيم كلها .

ص ١٤

كسرة الملوك

« فأخذوا جميع املاك سدوم وعمورة وجميع اطعمتهم ومضوا ، واخذوا لوط ابن أخى ابرآم واملاكه ومضوا إذ كان ساكنا فى سدوم » .

هكذا عبر الروح عن وضع لوط البار ، حينما اخذ هو واملاكه سبايا فى ايام كسرة الملوك ، إذ اثاروا حرباً على ملكى سدوم وعورة فهربا وانكسرا هناك ، وهذا لايخلو من فائدة روحية لكل من يتأمل كلمة الحياة بعمق ، فلوط إذ قد انحاز ناحية سدوم ، والصق نفسه بها ساكنا فيها مستقراً فى ارضها ، كواحد من المدينة ، إذ قد اختار هذا الموقع من الحياة ، صار كل مايجرى على المدينة يجرى عليه ، وكل مايصيبها يصيبه فهو والحال هذه ، يكون مثلاً لمن ينحاز إلى العالم من أولاد الله ، أو يلتصق به فكل مايجرى على العالم يجرى عليه ، بعكس الذى ينحاز لله ويلصق نفسه بحبه وعبادته وحفظ وصاياه ، فانه يزيد رفعه ومجد لايفنى ولايتغير .

كان ابونا بيشوى كامل يقول دائما .. « الذى ينحاز للعالـم الزائل يزول معه ، أما الذى ينحاز إلى الله الأبدى فانه يتمجد معه » .

هكذا خضع لوط - ليس طوعاً - إلى السبى والنهب وماتبع ذلك من مذلة وعار وخسارة وفقدان ولو لم تدركه النعمة المتحركة فى ابراهيم بقوة الله لصار مصيره فى خطر محقق .

ليتنا لانلصق حياتنا برباط مع العالم ، لاتكونوا تحت نير مع غير المؤمنين اية شركة للظلمة مع النور ، وأى اتفاق لله مع بليعال ..

إن هناك معنى عميق للتقديس والتكريس ، وهو الاعتزال ان تخصص شئ ليكون مقدساً ومخصصاً معناه ان تعزله بعيداً وتفرزه ليكون وحده ماأكثر مايعانى الإنسان حين يربط مصيره بغير المؤمنين أو يضع عنقه تحت نيـر مـع أهـل العالـم .

فاتى من نجا وأخبر ابرآم العبرانى وكان ساكناً عند بلوطات ممرا الاموری اخی اشکول واخی عانر ، وكانوا اصحاب عهد مع ابرآم . فلما سمع ابرآم ان اخاه سبى ،

جر غلمانه المتمرنين ولدان بيته ثلث مئة وثمانية عشر وتبعهم إلى دان . وانقسم عليهم ليلاً هو وعبيده فكسرهم وتبعهم إلى حوبه التى عن شمال دمشق . واسترجع كل الأملاك ، واسترجع لوطاً اخاه وايضا املاكه والنساء ايضا والشعب .

لقد اعتزل لوط عن أبى الاباء ، واختار لنفسه مدينة سدوم يسكن فيها ولكن هل يعنى هذا الاعتزال ، العزلة والقطيعة ؟ أو هل يعنى ان خصومه صارت بين ابراهيم ابينا والبار لوط ، بأى شكل من الأشكال أو تحت أى اسم من الأسماء التى نطلقها على الخصومة والخصام تغطية للمواقف أو ارضاء للضمائر ؟ .

لقد كان ابرآم صاحب حق فى كل ماحدث بينهما ، وإذا كان له ان يبرر ذاته فى أى مسلك يسلكه فكان له من الحجج مايكفى ويزيد ، ولكن ابرآم كان رجلاً قديساً بحق ، صاحب قلب متسع ومحبة حقيقية واخلاص منقطع النظير ، فلوط السائر من مشوار الحياة الروحية ، وهو ابن اخيه الذى كان يلقبه هو اخاه ، الذى كان له مركز فى قلبه وشركة فى حياته ، هو هو سواء سكن معه أو اعتزل

عنه ، سواء سكن فى خيام التبعية أو اختار لنفسه مسكنا فى سدوم ، سواء كان قريباً منه أو بعيداً عنه ، سواء سار معه مسيرته أو اخـتلف عنـه فى المســار .

هذه هى المحبة إذ نبعت من القلب وصفت من شوائب الذات وحب النفس هذه هى روح المحبة التى يجب أن تكون فى أولاد الله ، مهما اختلفت بينهم الآراء ، أو افترقت بهم الطرق والمسالك ، لقد قيل عن الرسل الاطهار انهم فارق احدهم الآخر ، ولكن ليس للخصومه أو للعدواة مكانه فى القلب .

ولكن لم تكن محبة ابرآم محبة المجاملة فى القول وعبارات الاشفاق والرثاء لذلك الذى سبى مع املاكه وبنيه ، ولم تعجز المحبة عن ان تقوم بواجب البذل والتضحية لانه ان خلت المحبة من البذل فكيف تسمى بعد محبة .

« ياأولادى لانحـب بالكلام ولا باللســان بل بالعمــل والحـق » .. هكذا اوصى رسول المحبة الذى اختبرها حق الاختبار .

المحبة نشيطة قوية ، المحبة لاتطلب مالنفسها .

دفعت قلب ابرآم دفعاً ، فلا تكاسل فى المحبة ولاتباطؤ .

فجر غلمانه ولدان بيته الذى تربوا فى بيته على مبادئ الحياة لله ، ويكفى ان نذكر العازر الدمشقى الذى ارسله ابراهيم يخطب لابنه اسحق ونتذكر مدى الايمان الذى استقاه من ينبوع ابراهيم .

هكذا كان خدام ابراهيم المحب والغيور وصاحب القلب الرحيم ، قادهم هو بنفسه ، وما أن رأوا اقدام المحبة وقوتها فى ابراهيم حتى سرى فيهم روح قوة لاتقهر .

وهكذا يكون ان كان لرب البيت روح المسيح ، روح البذل ومحبة انقاذ القريب تحب قريبك كنفسك ، وهى الوصية المعادلة لمحبة الرب الإله عاشها ابراهيم قبل أن تكتب فى ناموس وقبل ان تصير شريعة .

هكذا يجب أن يكون أيضا روح الكارز الساعى فى اثر المسبيين والعامل فى خلاص الاسرى بقوة روح المسيح الذى فدى الاسرى وفك مسبيين الخطية والمقبوض عليهم فى عبودية ابليس .

لم يكن ابراهيم رجل حرب أو قتال ، للسطو على المحيطين به أو لاكتساب غنائم أو لحوزة أراضى أو مقتنيات .

ولكن منطلق تحركه كان رغبة فى رد المسبيين وارجاع الذى اعتدى عليهم . وهو هدف نبيل فى ذاته ، وما ان يحققه حتى رجع لايبغى شيئاً ، ولايطلب مزيداً .

فخرج ملك سدوم لاستقباله بعد رجوعه من كسره كدرلعومر والملوك الذين معه إلى عمق شوى الذى هو عمق الملك . وملكى صادق ملك شاليم اخرج خبزاً وخمراً وكان كاهنا لله العلى . وباركه وقال مبارك ابرآم من الله العلى مالك السموات والأرض . ومبارك الله العلى الذى اسلم اعداءك فى يدك . فاعطاه عشراً من كل شئ .

« اقسم الرب ولن يندم انك كاهن إلى الأبد على طقس ملكى صادق »

لان ملكى صادق هذا ملك ساليم كاهن الله العلى الذى استقبل ابراهيم راجعاً من كسرة الملوك وباركه ، الذى قسم له ابراهيم عشراً من كل شئ . المترجم أولاً ملك البر ثم ايضا ملك ساليم أى ملك السلام بلا اب بلا ام بلا نسب . لابداءة ايام له ولانهاية حياة بل هو مشبه بابن الله . هذا يبقى كاهناً إلى الأبد .

ثم انظروا ماعظم هذا الذى اعطاه ابراهيم رئيس الاباء عشراً ايضا من كل رأس الغنائم واما الذين هم من بنى لاوى الذين ياخذون الكهنوت فلهم وصية ان يعشروا الشعب بمقتضى الناموس .. ولكن الذى ليس له نسب منهم قد عشر ابراهيم وبارك الذى له المواعيد وبدون كل مشاجرة الاصغر يبارك من الاكبر ، وهنا اناس مائتون ياخذون عشراً وأما هناك فالمشهود له بانه حى . حتى اقول كلمة ان لاوى ايضا الآخذ الاعشار قد عشر بابراهيم . لانه كان بعد فى صلب أبيه حين استقبله ملكى صادق « فلو كان بالكهنوت اللاوى كمال .. ماذا كانت الحاجة بعد إلى ان يقوم كاهن آخر على رتبة ملكى صادق ؟ » (عب ٧) .

وواضح ان ربنا طلع من سبط آخر لم يلازم أحد منه المذبح .

هذه البركة الكهنوتية التى قبلها أب الآباء حوت سر الأسرار فى المسيح يسوع بصورة فائقة ، رغم كونها فى ذلك الزمان السحيق ، رابضة تحت الرموز والظلال . فالكهنوت اللاوى وهو بعد فى صلب ابراهيم خضع ليستقبل البركة كأصغر يبارك من الأكبر .

تأمل سر الحياة الجديدة والذبيحة الإلهية ، خبز الحياة الأبدية ، هذا هو مسـيح البركة ، ملك السلام ، ملك البـر .

المسيح الذى صار لنا به بر وقداسة وفداء .

المسيح ملك السلام ورئيس السلام وصانع السلام .

فان كان ابراهيم قد حارب لاسترجاع لوط من قبضـة الملوك ، فالمسيح ملك السلام قد فك المسبيين حين ربط على الصليب صانعاً سلاماً بدم صليبه . باذلا جسـده ودمـه .

ملكى صادق ، ملك ساليم مشبه بابن الله من حيث ، انه طلع من سبط آخر لم يلازم أحد منه المذبح .. وانه أول من قدم ذبيحة غير دموية خبزاً وخمراً وانه يدعى ملك البر وملك السلام ..

المسيح جاء رئيس كهنة على طقس ملكى صادق ، كهنوته لايزول وملكوته لاينقرض .

وقال ملك سدوم لابرآم اعطنى النفوس وأما الاملاك فخذها لنفسك . فقال ابرآم لملك سدوم رفعت يدى إلى الرب الإله العلى مالك السماء والأرض . لا آخذن لاخيطاً

ولاشراك نعل ولا من كل ماهو لك فلا تقول انا اغنيت ابرآم ، ليس لى غير الذى اكله الغلمان ، وأما نصيب الرجال الذى ذهبوا معى عانر واشكول وممرا فهم يأخذون نصيبهم (تك ١٤ : ٣٠-٣٤) .

عرض ملك سدوم على ابراهيم بعد ان كسر الملوك المعتدين وغلبهم ورد كل النفوس والغنائم بقوة واقتدار ، عرض عليه ان يأخذ الاملاك التى استردها - كأجرة أو مكافأة على عمله .

ولكن اب الآباء ، الغريب عن كل ماهو ارضى ، الذى يطلب الوطن السماوى والأجر السماوى والميراث السماوى ، كان قد رفع يديه إلى فوق ، فلم تنحدر رغباته بشهوة الاملاك أو المقتنيات .

لقد اشتهى عاخان ابن كرمى ثوبا وذهباً ، مما كان فى اريحا وخبأهما ، فكان ذلك سبباً فى تكدير الجماعة كلها حتى سقطوا ، وهربوا ضعفاء أمام قرية عاى بعد أن كانوا أقوياء تجاه اسوار اريحا واشتهى جيحزى تلميذ اليشع ثياب وأموال نعمان السريانى بعد ان تطهر فى مياه الاردن ، وسعى وراءه واخذ شهوته ، فلصق به برص نعمان السريانى وبنسله إلى الأبد .

أما ابراهيم ابونا فكان نظره مثبتاً فيما هو فوق .

أليس ابراهيم هو أبو الايمان بما هو ليس مرئياً ، فكيف يطلب ماهو مرئى وزائل .

وها القديس بولس الرسول حينما استدعى قسوس الكنيسة الذين فى أفسس ولما حضروا اليه إلى ميليتس ، ذكرهم بمسلكه الرسولى قائلا : فضة أو ذهب أو ثياب أحد لم أشته ، حتى مجرد شهوة الأشياء لم تأت إلى قلبه !! .

بل ان الرب نفسه لما أرسل تلاميذه ليكرزوا بغنى البشارة الذى لايستقصى جردهم من حمل ذهب أو فضة أو حتى نحاس فى مناطقهم ، إذ صار هو لهم بالروح القدس غنى ومجداً وفيه كانت كل كفايتهم .

هذا مسلك الانسان الشبعان من الله ، المكتفى ، والقانع ، وفى اصزاره رفض الأمر من جذوره رفضا قاطعاً حتى ولاشراك نعل ، إلى هذا بلغ الأمر .

واعقب ابراهيم كلامه قائلا لملك سدوم : « لئلا تقول أنى اغنيت ابرآم » .

ما أكثر كلام الناس ، ولكن خادم الله الحقيقى يكون دائما - بتصرفه الحكيم - فى مأمن من العثرات ، انه لايخشى كلام الناس بقدر مايود أن يرضى الله ولا يلام تصـرفه من أحد .

أما من نحو هذا الغنى الزائل ، فقد نفضه ابرآم عنه من يوم ان ترك الأهـــل والعشيرة ، وتجرد تابعاً إلهه .

وكأنه بعين الايمان إدرك ان انسان لايستطيع أن يغنى انســاناً .

ولم يكن فى برنامج أب الآباء أن يكون غنياً ولم تمل ارادته قط إلى هذا الانحدار وان كان الرب قد افاض عليه غنى واملاك ومقتنيات هذا عددها .

« ان الذين يريدون ان يكونوا اغنياء فى هذا الدهر يسقطون فى تجربة وفخ .. »

فالموضوع منصب اساساً على الإرادة التى مالت نحو غنى زائل وطلبات مسرات الغنى الأرضى ، وفى هذه التجربة وهذا الفخ يؤخذ الانسان ويغرق فى العطب والهلاك ويطعن نفسه باوجاع كثيرة .

تـــك ١٥

بعد هذه الأمور صار كلام الرب إلى ابرآم فى الرؤيا قائلا **لاتخف** يا ابرآم انا ترس لك . اجرك كثير جداً . فقال ابرآم ايها السيد الرب ماذا تعطينى وانا ماض عقيما ومالك بيتى هو اليعازر الدمشقى .

وقال ابرآم ايضا انك لم تعطينى نسلاً وهوذا ابن بيتى وارث لى . فاذا كلام الرب اليه قائلا لا يرثك هذا بل الذى يخرج من احشائك هو يرثك ، ثم اخرجه إلى خارج وقال انظر إلى السماء وعد النجوم ان استطعت ان تعدها وقال له هكذا يكون نسلك فآمن بالرب فحسبه له براً .

يبدو ان افكاراً كثيرة من جهة العقم وعدم النسل كانت تتجاذب ابراهيم ، ويبدو أيضا انه لم يبح ابراهيم ولم يفصح لاحد من جهة هذه الأفكار وقد استغل العدو الشيطان - نهاز الفرص - هذه الظروف ليجعل هذه الأفكار تغلى فى داخل ابراهيم ، وحروب الشيطان عدو الخير ، تأخذ غالبا هـذا الشـكل ، فهى مع الآباء والقديسين حروب افكار ، يزرعها العدو كالزوان فتنمو فى حقل العقل وتصير مختلطة بالحنطة اختلاطا يصعب فى

كثير من الاحيان اقتلاع الزوان خوفا من ان تقتلع الحنطة معه ، ولكن العجيب فى الأمر ، أن الرب فاحص القلوب مختبر الكلى ، الذى عيناه كلهيب نار ، ليس امرا مخفياً عنه بل الجميع عريان ومكشوف لديه ، لم يترك صفيه ومختاره نهبا للأفكار أو فريسة فى يد العدو الشرير .

فبادر الرب بالكلام ، قائلا لابرآم لاتخف ، وربنا دائما هو البادئ عندما نكون فى موضع الخطر أو الخوف ، أو حينما يستبد بنا العجز أو تتقاذفنا امواج بحر هذا العالم ، نجده دائما يبادر فيأتى ويشرق بوجهه ويظهر ذاته ، يسكت الأمواج ويبكم البحر فيصير هدوء عظيم ، أو يبدد الوهم وتتقشع سحابة كانت قد اكتنفت النفس .

فربنا دائما فى موضع الباحث عن الخروف الضال حتى يجده ، والمفتقد الانسان فى مأساة الحياة مبدد خوفه .

هكذا تكلم الرب مع اب الآباء ، مبادراً بالكلمة التى تعتبر من اجل عطاياه العظمى والثمينة « لاتخف » .

الامر إذ قد وصل بنفس اب الآباء إلى الخوف ، ولاتوجد قوة فى الوجود تدخل السلام إلى مثل هذه النفس التى استشعرت الموت يدنو منها وليس لها زرع

كامتداد الحياة ، أو كأنما الاسم منحدر إلى الانقراض
وليس من يقيم الاسم من بعده ، وليس من بارقه أمل
فالأيام والسنين تعبر وهــو يشــعر انه (ماضٍ عقيماً) .

ولكن ان يتكلم ربنا ، فكلمته تزول دونها السماوات
والأرض ، وأن يطمئن هو النفس ، فهذه هى الطمأنينة
الحقيقة والسلام الذى يعلو كل عقل وأن يعطى سلاماً
فهو ملك السلام رئيس السلام واهب السلام ليــس كما
يعطــى العالــم .. بل يقول لاتضطرب قلوبكم .

انا ترس لك .. اجرك كثير جداً

احتمى بى فلا تصيبك الشرور ولاتدنو ضربة من
مسكنك

الترس هو ترس الايمان ، الذى يطفىء جميع سهام
الشرير الملتهبة كما يقول الرسول بولس ، فاذ صار الرب
ذاته هو ترس لابراهيم فقد صار ساكنا فى ستر العلى ، فى
ظل الإله القدير يبيت لايخشى من سهم يطير ولا من
سقطة وشيطان الظهيرة كما يقول المرنم :

هو الذى يدافع عنه (الرب يدافــع عنكم وانتم
تصـمتون)

قال الرب لابراهيم .. اجرك كثير جداً ، وقد ترجمت في بعض الترجمات « أنا أجرك الكثير جداً » وهذا يعطى الوعد الإلهى عمق عجيب يلذ للنفس ان تهذ فيه وترده وتتأمله فى صمت .

قال بوعز لراعوث : « ليكن اجرك كاملاً من عند الرب إله اسرائيل الذى جئت لكى تحتمى تحت جناحيه » (راعوث ٢ :٣)

فان كانت امرأة أممية جاءت تحتمى تحت جناحى الرب ، فاعطاها أجراً كاملاً فكم يكون نصيب الذى صار خليلاً لله ؟ هل يعطيه اجراً لايمانه وامانته أو اجراً لسيره أمام الله بالكمال ، ماذا عساه أن يعطيه ، وهل تقنع نفس ابراهيم الذى اختبر الحياة فى قمة الايمان .. هل تقنع نفسه بالعطايا . مهما تعاظمت ، أو بالخيرات والاملاك ، وهو عبرانى عابر ومتغرب ؟ .

حاشا ، فالرب لايعطى أقل من ذاته .

كان الرب – فى تدبيره الأزلى – ان يعطى ذاته للعالم ، وان يبذل ذاته فداء وكفارة لكل العالم .

فان كان الامر هكذا فما احقر العطايا ، إذا قورنت بعطية الله « هوذا السيد يعطيكم نفسه آية » .

وقال انا الرب الذى اخرجك من أور الكلدانين ليعطيك هذه الأرض لترثها ، فقال أيها السيد الرب بماذا اعلم أنى ارثها . فقال له خذ لى عجلة ثلاثية وعنزة ثلاثية وكبشا ثلاثيا ويمامة وحمامة فأخذها كلها وشقها من الوسط وجعل شق كل واحد مقابل صاحبه . وأما الطير فلم يشق . فنزلت الجوارح على الجثث وكان ابرآم يزجرها .

ولما صارت الشمس إلى المغيب وقع على ابرآم سبات وإذا رعبة مظلمة عظيمة واقعة عليه ، فقال لابرآم اعلم يقيناً ان نسلك سيكون غريبا فى ارض ليست لهم ويستعبدون لهم فيذلونهم أربع مئة سنة ثم الامة التى يستعبدون لها انا ادينها . وبعد ذلك يخرجون بأملاك جزيلة .

وأما انت فتمضى إلى آبائك بسلام وتدفن بشيبه صالحة .. ثم غابت الشمس وصارت العتمة وإذا تنور دخان ومصباح نار يجوز بين تلك القطع .

فى ذلك اليوم قطع الرب مع ابرآم ميثاقاً قائلا لنسلك اعطى هذه الارض من نهر مصر إلى نهر الفرات ..

بماذا أعلم إنى أرثها :

يلذ للقديسين أن يستوثقوا عهود الله التى بلا ندامة ، ويسألون بداله قوية برهان المواعيد الإلهية ، والرب الإله يستجيب لهم بحبه الحانى .

فما ان طلب اب الآباء إلى السيد قائلا بماذا اعلم حتى بادر الرب كأب حنون يوطد مواعيده ويثبت كلمته بالآيات ، يفرح بها قلب قديسيه ويزيد يقين الايمان فيهم .

فموسى بعد ذلك يطلب برهان معيه الله وارساليته له فيعطيه السيد آية وآيات ليس من اجله بل لاجل الذين يرونه ويسمعونه .

وجدعون فى طلبه ان تكون الجرة مبللة بالندى والارض حولها جافة ثم العكس فى المرة الثانية ، يتنازل الرب ويستجيب له فيما طلب تحقيقا للايمان وتثبيتاً للرجاء .

ولكن لايغيب على الذهن انه فى كل مرة ، كان يثبت الوعد وبآية أو اعجوبة يزداد وضوح الرؤيا وقدر النور المسلط على حقيقة الوعد الإلهى من جهة الخلاص ، ومن جهة الآية العظمى ، آية التجسد هوذا السيد يعطيكم نفسه آية .

لذلك جاءت هذه البراهين ، صوراً مجسمة للمواعيد العظمى والثمينة المذخرة لنا فى المسيح يسوع الذى هو غاية النبوات جميعها .

هنا تثبيت المواعيد التى قالها الرب لابراهيم ، جاء قبل أوان الشرائع والنواميس وتفصيل الذبائح سابقاً للزمن .

وهكذا اعلن الرب تثبيت وعده وصدق كلمته من داخل الذبائح التى قدمها ابراهيم شاملة جميع انواع ذبائح العهد الأول الذى كان بدم الحيوانات .

وليس من طريقة أخرى يظهر بها الله حبه الحانى ولطفه نحو بنى البشر ومواعيد خلاصه ، سوى ذبيحة الصليب ، التى من خلالها صار لنا دخول إلى النعمة التى نحن فيها مقيمون ، الله بين محبته لنا كما يقول الرسول بولس فى افسس .

خذ لى عجلة ثلاثية ..

فهذه الذبيحة الشاملة العجيبة ، هى له ، للرب ، أى صارت خاصته التى فيها يظهر مجده وحبه ، عدله ورحمته فى آن واحد وهى على رسم الثالوث القدوس ، فى سر تقديمها واختيارها ، إذ ان الكلمة صار جسداً ، احد

الثالوث القدوس ، الواحد مع ابيه والروح القدس ، صار ذبيحة لاجلنا .

وبخمس انواع الذبائح « عجلة ، عنزة ، كبشاً ، يمامه ، حمامة » صار استعلان الله ، كمثل خمس جراحات الذبيحة الإلهية ، إذ وفى الدين الذى كان علينا ، ومحا الصك الذى كان ضداً لنا فى الفرائض والناموس الذى ظهر فيما بعد مشتملاً فى خمس اسفار الكتاب الأولى . الذى هو ناموس موسى .

شقها من الوسط :

الذبيحة حينما تشق هكذا ، تبدو للناظر إليها ، كأنها صحيحة .. سليمة ، وحينما جاز تنور الدخان ومصباح النار بين تلك القطع ، شئ مدهش للغاية ، غاية فى الابداع ، الله فى وسطها ، الله متكلم فيها ، العهد الإلهى من وسط الذبيحه ، تثبيت المواعيد هنا ، من خلال الذبيحة ، بل من داخلها وان اتخذت كل هذه الأمور اشباه الحقيقة ، إذ صارت ذبيحة دموية وامور تبدو محسوسة ، ولكنها حوت غير المحسوس واعلنت مجد الله الذى لايرى وتدابير الخلاص المتعجب منها بالمجد .

الجـوارح :

حينما سئل ربنا يسوع عن موعد مجيئه الثانى المخوف والمملوء مجداً ، وقالوا له اين يارب فقال حيث تكون الجثة هناك تجتمع النسور ، وقد فسر بعض الآباء هذا الكلام ان ملكوت الله يغصب حقاً والغاصبون يختطفونه كقول الرب .

فإذ علق الرب على خشبة ، وصار ذبيحة ، اجتمع اليه النسور فى قوة لاغتصاب الملكوت واختطافه غصباً ، فالنفوس القوية المحلقة فى الأعالى ، والمتشبه بالنسور كقـول اشـعياء ، « طالبوا الرب يجددون قوة ، يرفعون اجنحة مثل النسور » فهم يطلبون الرب ، يرتفعون عن الدنيا ، يحومون حول الصليب ، يغتصبون الملكوت .

هكذا صارت الجوارح حول الذبيحة ، إلى آخر النهار .

ولما صارت الشمس إلى المغيب – وقع على ابرآم سبات وإذا رعبة مظلمة عظيمة واقعة عليه . فقال لابرآم اعلم يقينا ان نسلك سيكون غريبا فى ارض ليست لهم فيستعبدون لهم فيذلونهم اربع مئة سنة .

هنا اعلن الرب لأب الآباء بالرؤيا ، نير الظلمة القاسى ، وذل العبودية الأليم ، الذى هو شبه نير الخطايا وسلطان الظلمة ، وخطة الله للخلاص ، بالفصح الذى هو الذبيحة الإلهية ، وبدينونة الخطية فى شخص فرعون وجنوده .

انها كقول الرب - غربة ، وعبودية ومذلة - وهذه هى الملامح الرئيسية لحياة الخطية ، فهى غربة عن الله مصدر الحياة والنور والفرح وهى عبودية خالية من حرية مجد أولاد الله التى حررنا بها المسيح وهى مذلة وعار وسخرة بكل المقاييس .

ثم اعلن الرب خلاصه ، الأمة التى تستعبدون لها انا أدينها لانه دان الخطية بالجسد ، أى بتجسده وصليبه ابطل عز الموت (بالموت داس الموت) .

وبعد ذلك يخرجون باملاك كثيرة - رمز خيرات الخلاص الذى صنعه المسيح بدمه الطاهر - وسكب غنى الروح بكل حكمة وفطنة .

الاصحاح ١٦

أما ساراى امرأة ابرآم فلم تلد له ، وكانت لساره جاريه مصرية أسمها هاجر فقالت ساراى لابرآم هوذا الرب قد أمسكنى عن الولاده ادخل على جاريتى لعلى ارزق منها بنين ، فسمع ابرآم لقول ساراى .

لايوجد أوضح مما نطق به الروح على فم القديس بولس الرسول ودونه فى رسالته إلى أهل غلاطية بخصوص هذا الفصل ، ونرى انه من المفيد ان نضع هنا كلمات الرسول بنصها :

« فانه مكتوب انه كان لابراهيم ابنان واحد من الجارية والآخر من الحرة ، لكن الذى من الجارية ولد حسب الجسد أما الذى من الحرة فبالوعد **وكل ذلك رمز** لان هاتين هما العهدان احدهما من جبل سيناء الوالد للعبودية الذى هو هاجر ، لأن هاجر جبل سيناء فى العربية ولكنه يقابل اورشليم الحاضرة فانها مستعبدة مع ابنها ، أما اورشليم العليا التى هى أمنا جميعاً فهى حرة .. إلخ » (غل ٤ :٢٢-٢٦) .

لقد كانت هاجر الجارية رمز لعهد النامـوس الوالـد العبـودية ، والروح يقول صريحاً ان ابن الجارية ولد حسب الجسد ، والمولود من الجسد جسد هو ، ولادات الجسد بحسب الطبيعة من التراب وإلى التراب تعود ، أما اسحق فمولود بالموعـد ، للميراث ، وللحرية ليكون رمز لبنى الحرية ، المولـودين مـن الروح ، الوارثيـن المواعـيد بالمسيح يسوع ربـنا .

كان ميلاد اسماعيل يمثل المولودين حسب الجسد ، ويمثل عنصر الجسد فى الكيان الانسانى كله ، وكما ان الجسد يشتهى ضد الروح ، والروح ضد الجسد ، هكذا صار بميلاد اسماعيل - المولود بحسب المشيئة الجسدية - صار بميلاده ثم ميلاد اسحق ابن الموعد ، حتمية الصراع القائم بين الروح والجسد ، وبين كل ماهو من الروح وماهو من الجسد .

ميلادنا فى المسيح من الروح والماء ، ميلادنا الثانى الذى من فوق ، هو ميلاد بوعد الآب ، لاتبرحوا اورشليم .. بل انتظروا موعد الآب » .

هذا الميلاد ليس بمشيئة رجل ، ولا من هوى لحم ،

بل من الله ، انساننا الجسدانى – مولود بحسب الجسد – أما كياننا الروحى ، فهو من فوق ، من الله ، بحسب مواعيد الله الصادقة والامينة .

مشيئة الجسد ، فى ميلاد اسماعيل ظاهرة ومعبر عنها بمشورة سـارة نحـو أبى الابـاء ، إذ احست فى نفسها بعدم الثمر ، إذ لم يكن ثمر الوعد الإلهى ظاهرا بعد ، المولود بحسب كلام الله لم يأت أوانه بعد .

أما ميلاد اسحق .. فتبدو فيه مشيئة الله ، وتحقيق وعد الله بعد ان تعطل جسد ابراهيم إذ صار شيخاً متقدماً ، وبعد أن بطلت مشيئة ابراهيم نحو الانجاب ، إذ لم تكن ارادته فى ذلك الوقت تطلب ان يكون هذا اذ قد مضى زمان الاشتهاء والطلب وزمان الرغبة والمشيئة نحو الانجاب وتحقيق رغائب الجسد ومشيئاته ، وهكذا صار الحال بالأكثر مع موت مستودع ساره فلم يعد لها قدره طبيعية لا من نحو المشيئة ولا من نحو تحقيقها على ذلك جاء ميلاد اسحق خاليا من مشيئة الرجل ومن هوى اللحم والدم كميلاد فائق للطبيعة ليكون رمزاً لميلادنا الثانى من الماء والروح الخالى من مشيئة الجسد وهوى اللحم والدم .

ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها فى عينيها ، قال الرسول بولس ، كان حينئذ الذى ولد حسب الجسد كان يضطهد الذى حسب الروح هكذا الآن ايضا .

لكن ماذا يقول الكتاب اطرد الجارية وابنها لانه لايرث ابن الجارية مع ابن الحرة ، طرد الجارية اذن كان رمزاً لغلبة الروح وميراث الروح ، وهزيمة الجسد المختفى وراء ظل العبودية فى شخص الجارية .

ولكن لم يكن الامر هكذا سهلاً ، بل إن الجسد يشتهى ضد الروح بمقاومة وجبروت بل إن الذى ولد حسب الجسد يضطهد الذى بحسب الروح ، هكذا بدأت هاجر الجارية ترفع رأسها لكى تحتقر مولاتها ، فآفة الجسد العظمى هى الكبرياء وتزكية الذات ومأن يأخذ الكيان الجسدانى فرصة حتى يرتفع وتزهر الكبرياء ويبتدئ يشتكى ضد الروح ويصغر من شأنها ولكن مشيئة الله من جهة هذا ، ان تكون غلبة للروح على كل ماهو جسدى وهكذا كمل الرمز إذ سلم ابراهيم الجارية لمولاتها فاذلتها ، حيث يمكن من خلال هذا الرمز ان ندرك ان الطريق السوى للحياة هو ان اقمع جسدى واستعبده لكى لايعيش الانسان

مغلوباً من الجسـد بل قامعا الجسـد مميتاً للشهوات والأهـواء .

فاذلتها ساراى فهربت من وجهها

فوجدها ملاك الرب .. وقال ياهاجر جارية ساراى من اين اتيت وإلى أين تذهبين . فقالت انا هاربة من وجه مولاتى ساراى فقال لها ملاك الرب ارجعى إلى مولاتك واخضعى تحت يديها .

أمنا سارة شهد لها القديس بولس الرسول انها بالايمان اخذت قدره على انشاء نسل وبعد وقت السن ولدت إذ حسبت الذى وعد صادقا .

هى شريكة أبى الآباء فى كل شئ وبصفة خاصة شريكة ايمانه العجيب .

فكيف يقال عنها انها عاملت جاريتها هـذه المعاملـة واذلتها ؟

هذه الواقعة كانت حدثا مستجداً فى الحياه ، سجلها الكتاب كأمر أتى على غير طبيعة الحياة ، فمن المؤكد أن القديسة سارة كانت مثالاً لحياة البر والتقوى ومخافة الله ،

ومن المؤكد أن جاريتها هاجر كانت تنعم تحت يد مولاتها بحنان ورأفه واحسان وفجأة انقلبت الموازين من نحو الجارية ، وبدأت تسيء إلى مولاتها ، إذ كانت قد صـغرت فى عينها .. كبرت هاجر فى عينى نفسـها فصغرت مولاتها ..

ولم تكن سارة تجرؤ ان تفعل شيئاً لترد جاريتها إلى سابق عهدها من الخضوع والطاعة .. حتى شكت أمرها إلى اب الآباء قائلة ظلمى عليك ..يقضى الرب بينى وبينك ، وهذا يظهر مدى العقوق الذى صار فى هاجر الجارية ومدى التعالى والكبرياء الذى ملأ قلبها الجاهل .

فقال ابرآم لساراى هوذا جاريتك فى يدك افعلى بها مايحسن فى عينيك ، فاذلتها ساراى فهربت من وجهها .

وساره أم الطاعة ورمز الخضوع ، لم تشأ أن تتصرف إزاء جاريتها بدون اذن اب الآباء ومعرفته وهوذا فوض إليها الامر حاولت أن تعيد جاريتها إلى سابق عهدها من الخضوع وقصدت أن تزيل عنها كبرياءها وترجعها إلى الاتضاع .. فهربت من وجهها .

فالعيب إذن لم يكن فى ساره إذ لجأت إلى هذه الوسيلة ، بل كان العيب كل العيب فى التعالى البغيض الذى دفع الجارية إلى اهانة سيدتها كونها صغرت فى عينيها .

ومايستحق التأمل حقاً ، هو أمر ملاك الرب لهاجر « ارجعى إلى مولاتك واخضعى تحت يديها » .

أليس هذا هو أمر الرب بفم القديس بولس الرسول : « ايها العبيد اطيعوا سادتكم واخضعوا لهم » « أيها العبيد اطيعوا سادتكم لابخدمة من العين كمن يرضى الناس بل كعبيد للمسيح صانعين ارادة الله من القلب » .

حقاً ان طريق الخضوع هو تكميل مشيئة الله .

لم يكن الأمر إذا من ابراهيم لساره ان تفعل كما تشاء .

ولم تكن سارة متصرفة بحسب مشيئتها البشرية للانتقام أو عمل الشر .

بل ختم الملاك بقوله هذا لهاجر ان الامر من الله ان تكون هاجر فى خضوعها الأول وطاعتها لمولاتها ، وان ماداخلها من الكبرياء والاعتداد بالذات كان سلوكاً خاطئا

يحتاج إلى رجوع وخضوع لتستقيم الأمور كما كانت من قبل .

وقال لها الملاك تكثيراً اكثر نسلك فلايعد من الكثرة وقال لها الملاك هاانت حبلى فتلدين ابنا وتدعين إسمه اسمعيل لان الرب قد سمع لمذلتك .

ماصرخ انسان ما على وجه الارض من مذلة نفسه إلا وصعدت تنهداته مسموعة لدى القدير ، هذا أمر مذهل للغاية ، لان الله المتحنن على خليقته لم يخلقها للأنين ولا للمذلة ، بل للمجد والتنعم ، فان كانت الخليقة صارت تئن من ثقل نير الخطايا والوقوع تحت سلطان ابليس ، فلم يزل إلهنا الحنون يسمع صوت الانين ويرى المذلة انها اساءة موجهه إلى ذاته فى شخص خليقته التى خلقها على صورته وهذا ماحدى بإلهنا الصالح ان يقول رأيت عيانا مذله شعبى .. سمعت انينهم نزلت لأخلصهم ، هذا هو سر الخلاص .

تدعين اسمه اسمعيل لان الرب قد سمع لمذلتك .

أما من جهة كثرة النسل ، فان كان فى قياس الجسد يعد بركة للجسديين ولكن الوعد صار ليس فى انسال

كثيرة بل فى واحد انحصرت البركة التى للخلاص إذ قال الرب لابراهيم باسحق يدعى لك نسل فهربت من وجهها .

تكوين ١٦

عدد ٧ : فوجدها ملاك الرب على عين الماء فى البرية ، عين الماء التى فى طريق شور ، وقال ياهاجر جاريه ساراى من أين اتيت والى اين تذهبين فقالت انا هاربة من وجه مولاتى ساراى .

فقال لها ملاك الرب ارجعى إلى مولاتك واخضعى تحت يدها .

وقال لها ملاك الرب تكثيراً اكثر نسلك فلا يعد من الكثرة .

وقال لها ملاك الرب هاأنت حبلى فتلدين ابنا وتدعين إسمه اسماعيل لان الرب قد سمع لمذلتك وانه يكون انسانا وحشياً يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه وأمام جميع اخوته يسكن .

هكذا جاءت سمات الانسان المولود بحسب الجسد ، وميزته التى لاتخفى على أحد « إنساناً وحشياً » .

فالانسان الجسدانى ، مبيع تحت الخطية ، يوجد ناموس عامل فيه يسبيه إلى ناموس الخطية عنوة وقسراً دون ارادة أو مشيئة ، حتى لو كان يريد أن يصنع الخير ، يجد الشر له حاضراً امامه ، يفعله رغماً عنه .

ان كل محاولة لاخضاع الجسد ، أو تهذيبه أو تأديبه ، تقابل من الجسد بالنفور والعصيان ، ويود الجسد ان لايقبل التأديب وأن يهرب من تحت عصا الخضوع .. هذا هو الطبيعى من نحو الجسد .

على هذا النحو لم تحتمل هاجر « رمز الجسد » أن تخضع لمولاتها فهربت منها .

ولكن لاقاها ملاك الرب وبمشورة سماوية قال لها ارجعى إلى مولاتك واخضعى تحت نيرها .

ليست راحة في الهرب من التأديب أو رفضه ، لأن الجسد لايرى فى أى تأدب انه للفرح بل للحزن ، ومروضوا الوحوش يعرفون كيف ان الحد من حرية الوحوش أمر صعب غاية فى الصعوبة .

ولكن طريق الراحة الفعلية هو الرجوع والخضوع تحت يدى مولاتها أى خضوع الجسد لتبرير الروح .. هو نوع

من التصالح فيه يعيش الجسد ممارساً اعماله فى الخضوع وقد طرح عنه روح التمرد والعصيان .. هذه وصية سماوية واجبة التنفيذ يفهمها كل من صارت اليهم كلمة الرب مرسله بيد ملاك .

اما صفات المولود بحسب الجسد فهى تمثل الجسد تماماً خاليا من النعمة أو قل انها الطبيعة الساقطة كما يصفها روح النبوة فيما نطقه بفم الملاك .

انساناً وحشياً ، هذا هو انسان الغرائز الطبيعية ، كالحيوانات بل كالوحوش ، فانت ترى الانسان الغضوب إذا ماتمكنت منه شهوة الغضب وحب الانتقام ، تجده فى حال غضبه وفوران ثورته وكأنك امام وحش كاسر فى الشكل والصورة ومنظر وجهه وبريق العينين والصوت والانفعالات وقوة الحركات التى تصل حتى الضرر والقتل .. انه انسان وحشى .

وهكذا إذا تمثلت الانسان ساقطا تحت وطأة غرائزه جميعها مقتاداً إلى رغائبه غير المهذبة .

خير ماتقرأ عن تفصيل ذلك ماكتبه القديس بولس الرسول إلى تلميذه تيموثاوس :

لان الناس يكونون محبين لانفسهم .. محبين للمال متعظمين مستكبرين مجدفين غير طائعين لوالديهم غير شاكرين دنسين . بلا حنو بلا رضى . ثالبين عديمى النزاهة شرسين غير محبين للصلاح . خائفين مقتحمين متصلفين ..

هذا ماأوجزه ملاك الرب فى كلمة واحدة « انسانا وحشياً » .

يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه ..

كانسان الغابة .. هذا هو قانون الجسد ..

أما وعد ملاك الرب من جهة الكثرة .. فهذا أمر طبيعى ، فولادات الجسد والتناسل كائن فى صميم الانسان ، حتى بعد سقوطه سمع هذا من فم الرب أثمروا واكثروا واملأوا الارض وتسلطوا عليها .

فمن حيث انه ينمو ويتكاثر فقد وهبه الله هذا فى صميم الكيان وهذا كائن بفعل كلمة الله التى قالها فهى التى تعمل حتى فى حياة الجسد ، إذ أن كل حياة مستمدة من مصدر الحياة ومعطى الحياة .

« اسمعيل » سمع الرب مذلة هاجر

عجيب هو الله حقاً فى معاملته مع صنعه يديه ، فما ان تذلل انسان كان من كان إلا والرب يسمع وينظر إلى مذلته ..

فالخاطئ والفاجر إذا ماتذلل أو وصل إلى المذلة بأى نوع وفى مذلته صرخ إلى الله لابد ان الرب الإله يسمع صوته فى الحال مستجيباً من علو سماه وحتى الوثنيين .. فعل أهل نينوى عندما تذللوا أمام الله سمع صلاتهم ورفع غضبه عنهم .

فحزقيا الملك عندما تذلل ووجهه إلى الحائط باكيا سمع الرب لمذلته واضاف إلى ايامه ١٥ سنة ، قال الرب لاشعياء النبى انظر كيف تذلل حزقيا امامى .

فان تكاثر النسل لحساب الروح صار بركة لامتداد ملكوت الله وانتشار الابرار ووجودهم هو سر بقاء العالم ورضى الله لان القديسين هم ملح الارض ونور العالم كقول الرب .

وعلى العكس فان بنى الشرير ، أولاد الجسد والعالم ، فكثرتهم تزيد الفساد وتنشر الشر وتجلب الغضب ، ولكن

لرب الحقل قول مشهور « دعوهما ينميان معاً إلى يوم الحصاد » .

هكذا بشر الملاك هاجر ، بكثرة النسل ، وزيادة العدد ولكن بلا ملح الروح وبركات وخيرات الحياة بالله ولاجله .

وانه يكون انسانا وحشياً . يده على واحد ويد كل واحد عليه عندما يتدنى الانسان إلى الحياة الجسدية ، يسود عليه قانون الفساد مالكا عليه وصائرا مركزا للتصرف والفكر معا ، وهذا يخفض الانسان إلى ماهو دون ويجعله اقرب إلى الحيوان .

فطباع المكر تشبه الثعالب ، والالتواء تمثل الثعبان ، والنجاسة بالخنزير ، والوحشية بالذئب .. إلخ .

هكذا إذ سبقت معرفة القدير بما يكون عليه إسماعيل ونسله ، انه يكون انسانا جسدياً نفسانيا لاروح له وصفه الوحى هكذا بفم ملاك الرب « انساناً وحشياً » .

على العكس عندما يعمل روح الله فى الانسان يرفعه إلى مافوق ، حتى الفضائل الاجتماعية من صدق واخلاص وامانة .. إلخ تصير دون المستوى الروحى إذ يجعل

الروح الانسان متشبها بالملائكة ، بل ماهو افضل يصير مشابها صورة الابن الحبيب إذ يكون قد انتقل من الموت إلى الحياة ومن الظلمة إلى النور ومن رقة العبودية فى الجسد إلى حرية مجد اولاد الله بالروح .

تـــــك١٧

عدد : ١ –٥

ولما كان ابرآم ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لابرآم وقال له انا الله القدير . سر أمامى وكن كاملاً فاجعل عهدى بينى وبينك ، واكثرك كثيراً جداً . فسقط ابرآم على وجهه . وتكلم الله معه قائلا . أما انا فهوذا عهدى معك وتكون اب لجمهور من الأمم فلا يدعى بعد اسمك ابرآم بل يكون اسمك ابراهيم لانى اجعلك ابا لجمهور من الأمم .

الله هو البادئ دائما ، هو يدفعه حبه الأبوى وطبيعته المملوءة حنانا والانسان القديس هو فى مركز القبول والتمتع ، هو يقبل الانعامات التى تفاض عليه من العلاء ، ويتفاعل معها ويعيش فى هذا الخير الابدى ، هذا هو

الحال دائما وابراهيم ابونا خير من يمثل هذا الواقع المشبع والمملوء مـن فرح الايمان .

فما ان يشرق الرب عليه بانعاماته الجزيلة حتى يبادر ابراهيم مظهراً منتهى الخضوع الشاكر للاحسان والادراك الواعى الروحى لمدى المواهب المعطاه مجانا فيبارك ويشكر صانع النعمة المحسن لنفوسنا .

ظهر الرب لابرآم ، هذه ليست المرة الاولى فى حياة اب الآباء ، وفى كل مرة تنفتح بصيرة ابراهـيم لمثل هذه الرؤى ، يكون قد ارتقى بالنعمة إلى درجة اعلى فى الايمان والمحبة فصار مجال الرؤيا اكثر وضـوحاً واكثر اشباعاً .

كان ابرآم ابن تسعة وتسعين سنة ، سنوات طويلة عاشها فى الغربة والايمان فى اختبار الوجود مع الله وتحقيق مواعيده الإلهية ، وهو يتقوى فى الايمان ويعبر مراحل ودرجات الحياة وامتحانات الايمان يجتازها متخطيا العقبات والمكائد .

استعلان الله لابرآم هذه المرة يحمل سر « الله القدير » إله المستحيل ، ليس شئ غير مستطاع لديه .

وقبول ابراهيم مواعيد وعهود من فم الله القدير ، هذا يدفع إلى قمة الثقة واليقين والتأكد من الاشياء غير المرئية اكثر مما لو كانت ظاهرة للعين مدركة بالحواس .

سر أمامى فى سلامى الذى اعطيك
سر أمامى فى امان لايهبه غير الوجود فى حضرتى
سر أمامى فى مخافة لانى اراقب طرقك
سر أمامى فى حب لانى انا احببتك
سر أمامى لا أمام الناس
سر أمامى أنظر خطاك
سر أمامى أنا ارعاك
سر أمامى عينى عليك
سر أمامى أوصى ملائكتى بك
سر أمامى أنا اظللك
سر أمامى لاتحتاج إلى غيرى لان عندى الكفاية
وكن كاملاً فى قلبك ليكون كله لى
وكن كاملاً فى حبك ليس آخر سواى
كن كاملاً فى ايمانك بى انا الله القدير

كن كاملاً فى ثقتك فىَّ وليس فى ذاتك
كن كاملاً فى اتضاعك فأنت تسلك امامى
كن كاملاً فى رجائك فترفع عينيك إلى إله السماء

وعندما يستعلن الله ذاته بهذه الصفة ، يكون كمن يستودع هذه القدرة والجبروت ليكون ملكاً لابرآم ، هذا أمر يفوق التصور من جهة حنان ربنا واحساناته لان الله سبق فقال لابرآم أنا اجرك الكثير جداً ، فان كان قد أعطاه ذاته كعربون لكل بنى ايمان ابراهيم الذين اعطاهم السيد نفسه آية ففى استعلان « الله القدير » يكمن عطاء مابعده عطاء لايدركه إلا الذين وهب لهم ان ينالوا المواعيد .

سر أمامى وكن كاملاً

هذا القانون هو قانون الكمال وغاية الحياة كلها

أن يكون مشوار الحياة ، ومسيرة ايام الانسان أمام الله ، فى حضرة الله القدير

فى نور وجهه وفى معيته
جعلت الرب امامى فى كل حين
فى نور وجهك يسلكون

لانسير ان لم يسر وجهك .. وجهي يسير فاريحك
هكذا قال الرب لموسى

به نحيا ونتحرك ونوجد .

بدوني لاتقدرون ان تفعلوا شيئاً

قد ارتسم علينا نور وجهك

اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا

ماأجمل ان تكون الحياة حالة وجود دائم مع الله

يسير الانسان أمامه من مجد إلى مجد ، كطفل بسيط يخطو تحت نظر الاب فى حضن حنانه

هناك فقط يجد الانسان امانه وراحته وسلامه

لايخاف ولايضطرب ولايخشى من اهوال العالم ولاعواصف الزمن

تهرب الخطية وقوات الظلمة عندما نكون سائرين امام الله .

ماذا تسمى مثل هذه الحياة ، الصلاة الدائمة ، الوجود فى حضرة الله كل حين ، الاتحاد بالله ، النعيم الدائم ، الحياة فى السماء ، قد تعنى كل هذه المعانى جميعاً بل واعظم منها .

سر عظمة ابراهيم ابينا انه كان كاملاً امام الله ، فى قلبه وفى فكره وفى ايمانه وفى ثقته ، وفى محبته وفى اتضاعه ، وفى قبوله للنعمة وكصديق للكلمة .. كان كاملاً فى كل هذا .

الختان والايمان :

كان الختان ختما لبر الايمان كما قال الرسول معلمنا بولس أى تصديقاً على سلامة الايمان ، فإذا جاز ابراهيم بقوة الايمان اختبارات وتحديات وإذ لم يكن ضعيفا فى الايمان بل تقوى ، وتبرر بحياة الايمان والثقة فى مواعيد الله بغير شك ، والنظر إلى الله مصدر الغنى والفرح ، والاتكال على ذراع القدير ، والنمو فى حياة التغرب إذ نظر بالايمان إلى المدينة التى لها الاساسات .. إلى آخر تفاصيل غلبة الايمان على ضعف الجسد والمادة إذ صار ابراهيم هكذا أراد الله ان يختم على صدق ايمان ابراهيم بختم لايمحى ، وليس لابراهيم فقط بل الذين يتبعون ويسيرون فى خطوات ايمان ابراهيم .

الأمر إذن تخطى المنظور ، إذ لم ينحصر فى شخص ولا زمان بل كما يقول الرسول كتب من اجلنا نحن الذين

آمنا بقيامة يسوع المسيح ربنا ، هذا يبدو واضحا حين يطلب الرب من بنى اسرائيل بفم الانبياء ان يختتنوا قلوبهم وآذانهم ، إذ لم ينفعهم ختان الجسد بشئ ما لم يكن مصحوبا بحياة ايمان على مثال ابراهيم .

وليس هذا فقط بل ان الروح القدس ينطق بفم اسطفانوس رئيس الشمامسة شاهدا للمسيح مبكتاً رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب قائلا أيها الغير المختونين بالقلوب والآذان ، انتم دائما تقاومون الروح القدس كما كان اباؤكم ايضا .

فالختان ليس ختان اللحم الظاهر ، بل ختان القلب ، فى العديمة الفساد .

فاجعل عهدى بينى وبينك

مادامت الحياة قد أصبحت مسيرة مع الله ، وفى نور وجهه ، وقد اتسمت بالكمال فى القبول والخضوع فقد دخلت إلى صميم العهد الإلهى وصدق المواعيد ..

فمن جهة الله فهو صادق وأمين ، إذ ليس انسانا فيكذب ، وهو قادر دائما يفعل أكثر مما نسأل أو تفتكر ، وهو يبقى امينا لايقدر أن ينكر نفسه .

فالعيب دائماً يأتى من جهة الانسان ، الذى لايثبت فى العهد ولايوفى الوعد ، فإن وجد انسان كابراهيم سائر أمام الله كاملاً فى رضاه فإن عهد الرب يكون له ثابتا قائماً .

تغيير الاسم : فلايدعى بعد اسمك ابرآم بل يكون اسمك ابراهيم (أب لجمهور) تغيير الاسم معناه تغيير الشخصية .

لقد تغير ابراهيم فى صميم الكيان عندما قبل من الرب وهو ساجد فى خضوع القبول هذه النعمة ، قبل قليل قال ابرآم لله .. انا ماض عقيماً .

واليوم يغير الرب هذا العقيم لكى لايكون فيما بعد عقيماً بل مثمراً ، أبا لجمهور من الأمم .

الرب يسوع غير اسماء الرسل ، وهو يخلقهم من جديد ، إن كان احد فى المسيح يسوع فهو خليقة جديدة .

مازالت الكنيسة تعطى اسماء جديدة للمعمدين .

واسماء جديدة للذين ينالوا مواهب الكهنوت .

وهذا الاسم الجديد يعينه فم الرب كقول اشعياء .

وهذا الاسم لايعرفه إلا الذى يأخذ كقول يوحنا الرائى .

فهو سر تغيير يقتصر على المتمتع به الذى يدعوه الرب باسم جديد « خرافى تسمع صوتى .. وأنا ادعـوها باسـماء » .

الاسم الذى يدعو به الرب يعبر عن الواقع الجديد والنعمة التى نحصل عليها ، صار ابراهيم اب لجمهور ، ليس حسب الجسد ، بل لجميع الذين يسلكون فى ايمان ابراهيم الذين يترسمون خطواته عندما قبل كلمة الرب القائل « سر أمامى وكن كاملاً » .

عدد ٦—٩ واثمرك كثيراً جداً واجعلك أمماً . وملوك منك يخرجون واقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك فى اجيالهم عهداً أبدياً لاكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك . واعطى لك ولنسلك من بعدك ارض غربتك كل ارض كنعان ملكا أبديا وأكون إلههم .

وقال الله لابراهيم وأما انت فتحفظ عهدى انت ونسلك من بعدك فى اجيالهم .

هذا هو العهد الأول – العهد القديم

فى البداية وعد الله ابرآم ، وسار ابرآم بطاعة وايمان ، والآن يدخل الوعد إلى مرحلة أخرى ، أى يصير الوعد

عهداً ، ابرآم حسب ان الذى وعد صادقاً ، هذا هـو الايمان ، أما العهد فقد تثبت كالتزام من نحو الله القدير الأبـدى .

عندما تكلم الله مع ابرآم من داخل قطع الذبيحة .. جاز الرب وحده بين القطع أى كأن العهد كان قد أبرم من جهة الله ، وكان يلزم أن يدخل الانسان إلى صميم العهد .

العهد من جهة الله كله عطاء ، مثمر ، ويكثر ويجعلـــه أمماً ، ويعطى ملكوت العهد من جهة الله ابدى كطبيعته غير المحدودة وحبه اللانهائى .

بالعهد يستعلن الله إلهاً ، عندما يدخل الانسان طرف فى العهد أى يصير الانسان أداة اعلان لله إذ يصير الانسان مدينا لله .

حيث يوجد انسان له عهد مع الله هناك يسكن الله على الارض ويظهر للناس بفضل الايمان والطاعة ، ومنذ ذلك العهد يستعلن « إله ابراهيم كمرحلة جديدة فى تاريخ البشر .. توطئه للعهد الجديد بدم يسوع المسيح .

الوعد من جهة الله - لايتطلب من الانسان شيئاً - سوى القبول والامانة والطاعة ، فالله هنا يهب عطاياه مجاناً وبسخاء مطلق .

اعطاء الارض ميراثا - يعنى ان شعوبا هذا عددها - سيطردها الرب .. سيبددها ويبيدها من أمام وجه ابراهيم ، رغم كون ابراهيم - بحسب الواقع المنظور الآن - بلا نسل وبلا قوة ظاهرة .. فالعهد يحوى فى داخله مايتخطى حدود المنظور ويتجاوز ضعف امكانيات البشر ومحدوديتهم .. انه وعد وعهد إلهى يبرم فى الزمن ولكنه مختص بحياة الابد .

ولو راجعنا بنود هذا العهد الإلهى لوجدنا مختص :

(١) بالنسل والكثرة وهذا يعنى الامتداد وعدم والموت .

(٢) بالميراث والأرض وهذا يعنى الاستقرار والثبات .

(٣) الارتباط بالله برباط القيادة كإله .

ولو تعمقناها جميعاً لوجدناها ظل ملكوت الله والميراث الابدى للحياة الابدية .

عهد الختان : ١٠-١٤

هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك . يختن منكم كل ذكر فتختنون فى لحم غرلتكم . فيكون علامة عهد بينى وبينكم . ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر فى اجيالكم . وليد البيت والمبتاع بفضة من كل ابن غريب ليس من نسلك . يختن ختانا وليد بيتك والمبتاع بفضتك فيكون عهدى فى لحمكم عهداً ابدياً . وأما الذكر الاغلف الذى لايختن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها انه قد نكث عهدى .

من الأمور التى لاتخفى ، ان هذا العهد – عهد الختان . هو عهد بالدم ، لان فى عملية الختان تسيل قطرات دم الانسان ، والدم هو الحياة ، هى اغلى مايملك الانسان ومن العجيب ان ربنا يسوع قبل إليه الختان ، فى جسم بشريته وسالت قطرات من الدم الزكى توطئه لانشاء عهده الجديد بدمه الذى بذله كاملاً على الصليب لاجلنا .

والختان ختم ظاهر فى اللحم ، فى الجسد ، لايمحى ، وهو فى ذات الوقت مستور عن الانظار غير معلن ولامكشوف للعيان . أى ان عهد الختان حوى فيه ماهو معلن وسرائرى خفى فى آن واحد .

فهو علامة ظاهرة فى الجسد ولكن سره يكمن فى ختان القلب ونزع غلفه الانسان كله للاحساس بالله وتمييز صوته وحفظ وصاياه .

بالختان ، انقسم العالم إلى فريقين ، ختان غرله .. هذه مرحلة مميزة ، ظهرت باقل وضوح فى بداية سفر التكوين حيث كان هناك أولاد الله ، وبنات الناس .

ثم اخذت هذه الصور الرمزية كمالها فى العهد الجديد حيث استعلن سر أولاد الله « الآن نحن اولاد الله » وصاروا ليسوا من العالم بل من الآب مولودين ، وصار العالم يبغضهم .. لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته » .. وأما مجد اولاد الله فسوف يعلن فى المجئ الثانى حيث نكون مثله لاننا سنراه كما هو ..

عهد الختان .. عهد عضوية وشركه .. النفس غير المختونة تقطع تلك من شعبها . أى لايكون لها شركة فى الجماعة ، أو فى الجسد الواحد .

وهذا ماصار للنفوس التى تمتعت بختان المسيح بخلع جسم البشرية ، ونالت الميلاد الثانى ، وصار لها عضوية روحية وشركة فى الجسد الواحد الذى هو الكنيسة .

عدد ١٥-١٧

وقال الله لابراهيم ساراى امرأتك لاتدعو اسمها ساراى بل اسمها ساره واباركها واعطيك أيضا منها ابنا ، اباركها فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون فسقط ابراهيم على وجهه وضحك وقال فى قلبه هل يولد لابن مئه سنة وهل تلد ساره وهى بنت تسعين سنة .

بالحقيقة سُمّى اسحق ابن الضحك ، لانه لم تضحك ساره وحدها بل حتى ابراهيم ابو الآباء حالما سمع بالتحقيق ان الرب قاض الامر ومنفذه وانه منعم على الممات بزرع حياة وعلى مماتيه مستودع ساره بنسل يولد منها ، سقط على وجهه ساجداً شاكراً مؤمنا ، ولكنه من فرط الفرح والاستغراب كمن يذهل من أمر يصعب تصديقه أو مالايمكن للعقل استيعابه ضحك ابراهيم وقال فى قلبه هل يولد لابن مئة سنة ؟

وهل تلد ساره وهى بنت تسعين سنة ؟

ولكن هل يستحيل على الرب شئ ؟

أو هل يعسر عليه أمر ؟

لم يكن لساره هذه القدرة على انشاء نسل ، ولكن رب الحياة ، القادر علـى كل شـئ ، قال انه يباركها .

نعود ايضا إلى تغيير الاسم انه يحمل للنفس بركة تجديد وقوة تغيير تفوق الادراك البشرى ، وربما لانجد سوى ساره بين النساء حصلت على هذه النعمة .

وهذا يعنى ان الرب اختصها بمؤازرة من النعمة لتحقيق قصد الله من نحو النسل الوارث للبركة .. الذى فيه تتبارك جميع قبائل الارض الذى هو المسيح .

ساره معناها أميرة ، أى ام الملك . تكون أمما وملوك منها يكونون لقد صارت أما للذبيح ، أروع رمز لذبيحة الصليب ، الابن الوحيد المقدم بيد الأب حامل حطب المحرقة كمثل المسيح الذى حمل خشبة الصليب ، الذى ملك على خشبة .

عدد١٨-١٩

وقال ابراهيم لله ليت اسمعيل يعيش أمامك ، فقال الله بل ساره امرأتك تلد لك إبنا وتدعو إسمه إسحق ، واقيم عهدى معه عهداً أبدياً لنسله من بعده باسحق يدعى لك نسل ، ليس ابن الجسد ، الذى ولد بحسب الارادة البشرية

بل ابن الموعد ، المولود بحسب وعد الله ، يدعى لابراهيم نسل فيه يكمن سر الخلاص وسر امتداد الحياة ..

نسل الجسد لامتداد الحياة الارضية .

أما نسل الموعد ففيه سر حياة الابد التى فى المسيح يسوع ربنا .

مازالت الطبيعة تقول كيف يكون هذا ، ولعلها تلجأ فى بعض الاحيان إلى المعقول من الحلول أو اقربها إلى العقل ، فان كان الرب قد وعد بالبركة والحياة ، ليكون اداة تكمل الغرض وتوفى الوعد .. ولكن المستحيل لدى الناس ، هو مستطاع لدى الله ، والحلول الإلهية لاعقد المشاكل البشرية تختلف جذريا عن طرق الناس وافكارهم ، كما علت السماء عن الأرض علت افكار الله عن افكار الناس وطرقه عن طرقهم .

فالذهن البشرى قد يرى فى خلاص الثلاثة فتية من يد نبوخذ نصر حيلاً كثيرة وطرقا متنوعة ، مثل انطفاء النار ، أو هلاك نبوخذ نصر ، أو ..

أما الرب فقد ابقى كل شئ حتى ارتفعت النار تسعة واربعين ذراعاً .. وكان الحل الإلهى ان ينزل الرب ويتمشى معهم فى آتون النار المتقدة .. إنها خطة الله العجيبة .

ان يعيش اسمعيل ، مادام هو مولوداً ، وعائشاً ، اسهل بكثير ان يولد اسحق بعد ان صار ابراهيم ان مئة سارة وساره انقطع ان يكون لها كما للنساء ، انه امر مستحيل ..

الرب هو إله المستحيلات ، وولاده الحياة من الموت ، هوهو قصد الله ، ان يولد ابن الموعد من ابراهيم بعد ان صار مماتا بحسب الجسد ، ومن مماتيه مستودع ساره لكى يكون هذا العمل الاعجازى هو آيه الميلاد للنسل الموعود الذى فيه تتبارك جميع قبائل الأرض .

عدد ٢٠-٢٢

أما اسمعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا اباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً اثنى عشر رئيساً يلد واجعله أمه كبيرة . ولكن عهدى أقيمه مع اسحق الذى تلده لك ساره فى هذا الوقت فى السنة الآتية « فلما فرغ من الكلام معه صعد الله عن ابراهيم » .

من ناحية الكثرة والتكاثر والزيادة فى الود والعدة المادية ، فهذه أمور يمنحها الرب المحسن واهب الحياة مشرق شمسه على الاشرار والابرار ومنعم حتى على غير الشاكرين له .. النعم الأرضية متغيرة زائلة فى النهاية أما النعمة الروحية

المختصة بالملكوت والدائمة إلى الأبد فهى تعطى فقط للمختارين هكذا قال الرب ، أما عهدى أقيمه مع اسحق الذى تلده لك ساره » نحن أيها الأخوة نظير اسحق أولاد الموعد » حيث اعطانا الله فى المسيح نعمة البنوة والعهد الإلهى بدمه وسكب الروح القدس وميراث العهد الذى لايفنى ولايتدنس ولايضمحل ، محفوظ لنا فى السماوات .

عدد ٢٣-٢٧

فأخذ ابراهيم اسمعيل ابنه وجميع ولدان بيته وجميع المبتاعين بفضته كل ذكر من أهل بيت ابراهيم ، وختن لحم غرلتهم فى ذلك اليوم عينه كما كلمة الله .

وكان ابراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن فى لحم غرلته ، وكان اسمعيل ابنه ابن ثلث عشرة سنة حين ختن فى لحم غرلته . فى ذلك اليوم عينه ختن ابراهيم واسمعيل ابنه . وكل رجال بيته ولدان البيت والمبتاعين بالفضة من ابن الغريب ختنوا معه .

حصل ابراهيم واسمعيل ظاهريا على علامة الختان كأنهما متساويان ، ولكن الفرق بينهما شاسع لايقاس ،

فابراهيم أخذ علامة الختان ختما لبر الايمان أما اسمعيل فشهدت تكمله حياته انه الختان كان مجرد علامة فى الجسد لم تترك اثراً فى الحياة من ناحية العلاقة مع الله أو الايمان أو ثمر طاعة الوصايا أو العهود إذ لم يكن اصلا صاحب عهد مع الله ولم يكن وجود الله فى الحياة كلها فصار يحيا وحشياً جسدياً بكل المعايير فكثيرون ختنوا ولكن هل من اثر لختان القلب فى الحياة ؟ .

ليس الختان فى اللحم هو الختان بل ختان القلب بالروح وشهادة الحياة حينما تكون معاشه فى خوف الله وحفظ وصاياه .

ص ١٨ سفر التكوين

عدد ١ – ٥

ظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس فى باب الخيمة وقت حر النهار ، فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض . وقال ياسيد ان كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فلا تتجاوز عبدك .

ليؤخذ قليل ماء واغسلوا ارجلكم واتكئوا تحت الشجرة فآخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تتجاوزون لانكم قد مررتم على عبدكم فقالوا هكذا تفعل كما تكلمت .

ماأعجب الايمان واقتداره فى تخطى الزمن وكل ماهو منظور .. فها ابراهيم ابونا يتمتع – قبل الأزمنة – بما هو عتيد أن يكون فبعد آلاف السنين صار هذا الأمر من نصيب الذين وهب لهم أن يتمتعوا بحياة الشركة مع الله كأولاد الميراث الأبدى المفديين بدم المسيح والمصالحين مع الآب .

لقد قال الرب يسوع « الذى عنده وصاياى ويحفظها فهو الذى يحبنى والذى يحبنى يحبه ابى وانا احبه واظهر له ذاتى » (يو ١٤ : ٢١) .

ان احبنى احد يحفظ كلامى ويحبه ابى وإليه نأتى وعنده نصنع منزلاً

هانذا واقف على الباب واقرع ان سمع احد صوتى وفتح الباب ادخل اليه واتعشى معه وهو معى .

هذه مواعيد المسيح لبنى العهد الجديد وفيها عمق الشركة مع الله اشياء لايسوغ لانسان ان يتحدث عنها .

والعجيب ان ابراهيم بالايمان ليس فقط انه رأى المواعيد من بعيد وحياها بل تمتع بذواق العربون حاصلاً بايمانه على مالايمكن لانسان فى العهد القديم ان يحصل عليه .

وها ربنا المتنازل دائما والمتضع دائما يظهر ذاته ، ويأتى بحسب وعده ويتعشى معه ويتكئ على مائدته .

« الذى عنده وصاياى ويحفضها فهو الذى يحبنى ، والذى يحبنى يحبه أبى ، وإليه نأتى وعنده نصنع منزلاً »

ليس من العسير ان يأتى الرب الينا أو يكون ضيفنا ، ليس من العسير ان يكون جوعانا أو عريانا أو مريضاً أو محبوساً أو غريباً أو مسافراً ، هذه احدى بركات التجسد ولكن العسير على بنى البشر أن يميزوه ويعرفونه ويخدمونه وهذا لايتوفر لاحد إلا إذا حصل على ايمان ابراهيم وطاعة ابراهيم وحب ابراهيم .

هذا هو الايمان العامل بالمحبة .. وان كان فى العهد القديم إلا انه يدخل بالايمان إلى دائرة النعمة قبل الازمنة .

ابراهيم يتوسل إلى هذا الغريب ويخضع ذاته له عبداً ، هذا يلزم الله ان يأتى اليه قالت ليديا بائعة الارجوان للرسل ان حكمتم بالحقيقة أنى مؤمنة « فالزمتنا » الايمان له جسارة وله دالة .

ايمان زكا ألزم الرب ان يمكث اليوم فى بيته ويمنحه خلاصاً .

ان كان الرب قد لبى دعوه سمعان الفريسى الابرص .. أفلا يلبى دعوة اخصاءه واحباءه المختارين ..

لقد تظاهر الرب لتلميذى عمواس انه سيتجاوزهم مكملاً مسيرته ، ولكنهما ألزماه بان يميل ويمكث معهما ليكسر عندهما خبز المحبة واضافة الغرباء فرضى ان يكون معهما .

هذا مايسميه الآباء الروحيون ، اللجاجة فى الطلبة والالحاح فى الصلاة .. هذه هى طريقة الذين عرفوا سر المسيح ، فبدالتهم المحبوبة يطلبونه فيجدونه يلتمسونه

فيكون لهم .. يتوسلون اليه فيرضى ان يجلس إلى مائدتهم ويبارك عليهم ويقتسم معهم لقمة محبتهم .

المحبة نشيطة ، بشوش ، كلها بذل وكلها فرح ، هكذا ركض ابراهيم واسرع ، وعمل وخدم .

بداية الخدمة هى غسل الأرجل

منتهى الاتضاع ومنتهى الحب

وتعبير المحبة دائما هو مائدة الروح وذبيحة الحياة .

عدد ٦ ـ ٨

فأسرع ابراهيم إلى الخيمة إلى سارة وقال اسرعى بثلث كيلات دقيقاً سميزاً اعجنى واصنعى خبز مله ، ثم ركض ابراهيم إلى البقر واخذ عجلاً رخصاً وجيداً واعطاه للغلام فاسرع ليعمله ثم اخذ زبداً ولبناً والعجل الذى عمله ووضعها قدامهم واذ كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة اكلوا .

كان ابراهيم ابونا يومئذ شيخا ابن حوالى مائة سنة ، ولكن الأفعال والحركة تأتى على النقيض مع هذه السن المتقدمة والشيخوخة فانت تلاحظ انه اسرع .. وقال اسرعى .. ثم ركض .. إلخ ، فمن اين يأتى الشيخ ابن

المائة سنة هذا النشاط والقوة يسرع ويركض يتعب ويهيئ كل هذا ؟ .

ان دافع المحبة والايمان فى قلب ابراهيم يتخطى كل قصور الجسد .

ان عاش الانسان بالروح وسلك بالروح مشوار الحياة ، فان كان انسانه الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوماً فيوم .

فعندما يقع حمل وثقل الحياة وهمومها على الجسد يهده هداً ، أما ان كانت الروح متقوية بالله مسنودة بالنعمة فان الروح ترفع عن كاهل الجسد كل الاتعاب .

أليس مكتوبا ان الهم فى قلب الرجل يحنى ظهره ، أى إذا تثقلت الروح فى الداخل انهار الجسد وتداعى والعكس صحيح إذا تقوى الانسان الباطن حمل اتعاب الجسد حتى فى شيخوخته .

هكذا بدت المحبة فى قلب ابراهيم ، نشيطة ، ملتهبة ، باذلة ، فرحة فى بذلها أما إذا اختفت المحبة فان النفس تبدو كسوله متثاقلة ، تستصعب البذل ، بدون المحبة يوجد الكسل والتراخى ويغصب الانسان نفسه لتكميل الواجب بكل مشقة .

أما النفس الفرحانة بسكنى المحبة فيها فهى دائما لاتطلب مالنفسها وفيما هى تبذل تحظى بمواعيد الله لان المحبة لاتسقط ابداً .

عدد ٩ – ١٥

وقالوا له أين سارة امرأتك فقال هاهى فى الخيمة . فقال إنى أرجع اليك نحو زمان الحياة ويكون لسارة امرأتك ابن . وكانت سارة سامعه فى باب الخيمة وهو وراءه ، وكان ابراهيم وساره شيخين متقدمين فى الايام ، وقد انقطع ان يكون لسارة عادة كما للنساء فضحكت ساره فى باطنها قائلة أبعد فنائى يكون لى تنعم وسيدى قد شاخ ؟.

فقال الرب لابراهيم لماذا ضحكت ساره قائلة أفبالحقيقة ألد وأنا قد شخت هل يستحيل على الرب شيئ . فى الميعاد ارجع اليك نحو زمان الحياة ويكون لساره ابن فانكرت ساره قائلة لم اضحك لانها خافت فقال لا بل ضحكت .

حياة الوقار والحشمة لم تكن فى حياة امنا سارة مظهراً خارجياً بحسب عادات وتقاليد الجيل الذى عاشت فيه أو البيئة التى نشأت فيها فحسب بل لقد شهد الروح القدس انها حصلت على زينة الروح الوديع الهادى الذى هو قدام

الله كثير الثمن ، وتزينت فى القلب الخفى بعدم الفساد بالغة قمة حياة التسليم والاتكال على الله فى الخضوع لابى الآباء .

هذا ماسجله الروح القدس بفم القديس بطرس الرسول واعظاً النساء فى الكنيسة « لاتكن زينتكن الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلى بالذهب ولبس الثياب بل انسان القلب الخفى فى العديمة الفساد زينة الروح الوديع الهادى الذى هو قدام الله كثير الثمن فانه هكذا كانت قديما النساء القديسات أيضا المتوكلات على الله يزين انفسهن خاضعات لرجالهن ، كما كانت سارة تطيع ابراهيم داعية اياه سيدها » (١بط ٣ :١-٦) .

وهى فى وقارها جلست إلى وراء باب الخيمة ، فسمعت الوعد الإلهى من فم الرب وفى حياء النفوس الطاهرة ضحكت فى باطنها ، إذ اختلطت مشاعر كثيرة فى قلبها بين تكميل وعد الله الذى طال انتظاره منذ بدء مسيرتهم مع الله ، إلى الفرح الحادث من سماع خبر سعيد بميلاد ابن الموعد ، إلى خجل امرأة عجوز تحمل وترضع وليد شيخوختها ، اختلطت جميع هذه المشاعر فى قلب القديسة فى لحظة من الزمان فضحكت فى قلبها ،

على انها ظاهريا لم تضحك ولم يسمع لها صوت ولكن فاحص القلوب ، ومختبر الكلى ومطلع على سرائر الناس ونياتهم ، قال لابراهيم لمـاذا ضحـكت سـارة ؟ .

انه فعلاً امر مستحيل بكل المقاييس ، ولكن هل يستحيل على الله شئ ؟ عند الناس غير مستطاع ولكن ليـس عـند الله ... بل كل شئ مستطاع لديه وهذه الحقيقة يدركها أولاد الله فى كل جيل وهذا هو صلـب الايمان لان كل شئ مستطاع للمؤمن وكان ابراهيم وسارة افضل من اختبر هذه الحقيقة فى اجيال البشرية كلها بتلقائية وبساطة الاطفال جاوبت ساره عن نفسها قائلة لم اضحك ، ويضيف الروح تعليل اجابتها انها خافت ، وهذا التصرف الذى يصدر كثيراً عن الاطفال يدفعون عن انفسهم اتهامات قد يتعرضون لها ، وبسبب الخوف الغريزى يجاوبون بالنفى ولايحسب عليهم إذ يكون الكذب أبعد مايكون عن براءتهم وتلقائيتهم الطفولية .

على هذا النحو جاوبت أمنا سارة ، وعلى نحو مايتصرف الكبار مع اجابات الأبرياء جـاء رد ربنـا « لا بل ضحـكت » .

وهكذا يبدو من رد ربنا البسيط دون ماملامه أو تبكيت أن الذين يتمادون فى تصوير ضعفات القديسين وتضخيم هفواتهم انما يجانبون الصواب ولايسلكون بحسب فكر الله الذى كان دائما يحب الصديقين ويصنع احسان مع خائفيه .

عدد ١٦-١٩

ثم قام الرجال من هناك وتطلعوا نحو سدوم ، وكان ابراهيم ماشيا معهم ليشيعهم . فقال الرب هل اخفى عن ابراهيم مأأنا فاعله ؟ وابراهيم يكون امة كبيرة وقوية ويتبارك به جميع أمم الارض . لانى عرفته لكى يوصى بنيه وبيته من بعده ان يحفظوا طريق الرب ليعملوا براً وعدلاً لكى يأتى الرب لابراهيم بما تكلم به .

حقا ان سر الرب لخائفيه ولهم يعلن عهده كما يقول المرنم ، إلى هذا الحد الفائق للطبيعة يصل سخاء ربنا نحو قديسيه ، حتى يقول هل اخفى عن ابراهيم ما أنا فاعله ، فالقديسون فى كل زمان صار لهم دراية بسر الله ، إذ تفيض عليهم النعمة احسانات واعلانات ، إذ يعرفهم القدير بسر مشيئته التى قصدها فى نفسه قبل الدهور ، وهذه

الدالة العجيبة التى صارت للقديسين لدى الله تكشف بكل وضوح مقدار الكرامة التى ارتقوا اليها .. يكفى ان يقال ان ابراهيم دعى خليل الله ، وكأن ربنا لايستطيع ان يخفى عن خليله امراً كان مزمعاً ان يعمله ، ذلك ماعبر عنه عاموس النبـى بقوله : « ان السيد الرب لايصنع امراً إلا وهو يعلن سـره لعبـيده الانبياء » (عاموس ٣:٧) .

هذه هى امانة الله من نحو القديسين الذين ائتمنهم على ذاته ، فليس اقل من ان يعلن لهم ارادته ويعرفهم سر مشيئته .

لهؤلاء المختارين تكشف الاسرار دون غيرهم من سائر البشر العائشين معهم فى جيلهم ، فابراهيم لايخفى الرب عنه سر هلاك سدوم بينما جميع الناس حوله لايدرون ماذا يجرى أو ماذا يأتى به الغد ، أن كل شئ مخفى عنهم كالمخـاض للحبلـى .

وهكذا يفعل الرب فى كل الأجيال فموسى الكليم يرى باعلان كل تدابير الخلاص حين يكلمه الرب فى العليقة بينما بنى اسرائيل رازحين تحت العبودية ولايعرفون سر العـمل الإلهى .. وهكذا كان طوال ارتحالهم إلى النهاية

حتى قالوا لموسى كلم انت الله وكل مايأمرك به نفعله فصار وسيطا بين الله والناس .

وصموئيل وداود ، والأنبياء ، أرميا يعرف احداث السبى قبل وقوعها والأنبياء الذين تنبأوا من أجل مجئ المسيح قبل مجيئه باجيال كثيرة ، والرسل الأطهار الذين كان يعلن لهم الروح دون غيرهم عن أمور مستقبلية ، وآخرهم القديس يوحنا الحبيب الذى صار له اعلان يسوع المسيح الذى ارسله إليه بيد ملاكه ليرى عبيده مالابد أن يكون .

هكذا انفرد الآباء القديسون بهذه الاعلامات دون غيرهم من البشر وصار يفاض عليهم من العلاء اسرار أمم وشعوب واحداث لم تكن فى قدره البشر معرفتها كما قال دانيال النبى عندما كشف له الرب حلم نبوخذ نصر وتدابيير الله فـى زمانـه .

فلايدعى أحد بكبرياء مساوياً نفسه بالقديسين ولاينكر أحد على المختارين ماوصلوا إليه من قربى وداله ، بل بالحرى يجدر بنا ان نتضع مطامنين الرأس ملتمسين البركة من اولئك الذين شهد لهم انهم باعمالهم ارضوا الله وانهم صاروا مؤتمنين حتى على اسرار الله .

عدد ٢٠-٣٣

وقال الرب ان صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت جداً ، انزل وارى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتى إلىّ وإلا فاعلم ، وانصرف الرجال من هناك وذهبوا نحو سدوم وأما ابراهيم فكان فلم يزل قائما أمام الرب .

فتقدم ابراهيم وقال : افتهلك البار مع الأثيم . عسى ان يكون خمسون باراً فى المدينة افتهلك المكان ولاتصفح عنه من اجل الخمسين باراً الذين فيه . حاشا لك ان تفعل مثل هذا الامر ان تميت البار مع الأثيم فيكون البار كالأثيم .

حاشا لك . اديان كل الأرض لايصنع عدلاً .

فقال الرب ان وجدت فى سدوم خمسين باراً فى المدينة فانى أصفح عن المكان كله من أجلهم .

فأجاب ابراهيم وقال انى قد شرعت اكلم المولى وانا تراب ورماد . ربما نقص الخمسون باراً خمسة اتهلك كل المدينة بالخمسة . فقال لاأهلك ان وجدت هناك خمسة واربعين .

فعاد يكلمه ايضا وقال عسى ان يوجد هناك اربعون . فقال لاافعل من اجل الاربعين . فقال لايسخط المولى فاتكلم عسى ان يوجد هناك ثلاثون .

فقال لأأفعل ان وجدت هناك ثلاثين . فقال انى شرعت اكلم المولى عسى أن يوجد هناك عشرون ، فقال لاأهلك من أجل العشرين .

فقال لايسخط المولى فاتكلم هذه المرة فقط .. عسى ان يوجد هناك عشرة فقال لاأهلك من أجل العشرة . وذهب الرب عندما فرغ من الكلام مع ابراهيم ورجع ابراهيم إلى مكانه .

لقد جاء الشفاعة كخطوة تالية للإعلان كما هو متوقع تماماً ، فمعرفة القديسين لما سيحدث يحرك قلوبهم الحنونة وارواحهم المحبة للخير ، ان يشفعوا واقفين أمام القدير بما لهم من دالة ومكانه لدى مخلصنا ، فحاشا للقديسين ان يروا غضباً أو عقاباً أو .. مما يحل بالعالم ولاتتحرك قلوبهم ، وحاشا للقديسين أن يقفوا موقف المتفرج من البشرية المعذبة أو التى ستكابد الآلام بسبب الخطايا ، وحاشا للقديسين أن يكون منهج السلبية هو اسلوبهم ..

فها ابراهيم عندما يعلن له الله سر هلاك سدوم ، يتقدم بسؤال الصلاةِ واقفا أمام الله شفيعاً فى الخطاه ، ولك ان تتأمل مقدار رحمة الله ، وحبه العجيب وطول أناته ، وكيف يتجاوب مع كلمات ابراهيم ابينا انه أمر يتعجب منه بالحق ، ماأكثر جودك يارب .

بل ليخيل إلى ان الله انما يعلن اسرار كهذه لقديسيه ، متوقعاً منهم هذه التوسلات لعله يجد حجة تجعل فرصة أخرى لاناة الله .

ثم انظر ، هاستة مرات يتكلم ابراهيم أمام الله بجسارة مذهلة للعقل ، تأمله يقول : اتهلك البار مع الأثيم ؟ حاشا لك ان تفعل هذا الأمر .

حاشا لك . أديان الأرض كلها لايصنع عدلاً ؟ .

إلى هذا الحد صارت لابراهيم اب جميع المؤمنين دالة وثقة لدى القدير ، انه يحاجة ويسأله يسترضى وجهه ويستعطفه ، بل أكثر من هذا يتشجع ويذكر أمام الله ويقف كمحام حسن المنطق ، يذكر الله بعدله ودينونته المملوءة حقاً ، ويطلب ان لايتساوى البار مع الأثيم فى العقوبة ، فان كانت الدينونة مستحقة على الأشرار فما ذنب الأبرار ؟ .

بل لقد أدرك ابراهيم قيمة وجود الأبرار لحفظ سلام العالم ، وهو يعرف قلب وفكر الله الذى من أجل مختاريه يحسن إلى العالم كله .. فالقديسون فى كل جيل هم حفظ العالم وعله بقائه ، حتى فى نهاية العالم قبل مجئ ربنا فانه لاجل المختارين تقصر تلك الأيام الصعبة .

فشفاعة القديسين فى العالم تصير بوجودهم فى العالم وبطلبتهم إلى الله عن العالم على حد سواء .

أما فى أزمنة العقاب فمن وجه الشر يضم الصديق كما يقول إشعياء النبى لولا وجود موسى فى وسط بنى اسرائيل لهلك كل الشعب عندما توسط موسى كشفيع بين الله والناس قائلا للقدير إصفح عن شعبك وإلا فامحنى من كتابك الذى كتبت .

هذا التعبير الذى نطق به ابونا ابراهيم أمام الله يجب ان يكون قاعدة لكل صلاة على الإطلاق ، بدونها يصير الكلام مع المولى اجتراء وتفاخر ، فمن ناحية تصير النفس فى مواجهة القدير مدركه لحقارتها المتناهية ، ومن جهة أخرى يضع الانسان نفسه كجبله للخالق ، الذى صورها

من التراب فهو تعبير عن التسليم وان يستودع الانسان نفسه كما لخالق امين فى عمل الخير على حد تعبير الرسول ، هذا يحنن قلب الله نحو خليقته ويستمطر مراحمه الفائقة التى لايعبر عنها .

لذلك ورثت الكنيسة عن الآباء ، كثرة السجود ، والمطانيات ، ووضع الوجه حتى إلى التراب أو كما يقول المرنم لصقت بالتراب نفسى فأحينى ككلمتك وحينما تنزل النفس إلى التراب بالارادة فى التوبة يقيمها الله بنعمته ويرفع وجهها ، كإستير الملكة التى سجدت باتضاع إذ قد تراءت أمام الملك فى غير وقتها وعلى خلاف السنن فوجدت نعمة فى عينيه ومد لها قضيب الذهب وأمامها مجيبا طلبتها حتى إلى نصف المملكة .

هكذا تجد النفس نعمة أمام المسيح الملك ، إن هى اختبرت الله باتضاع ، متوسله من أجل خلاص نفسها ، أو خلاص شعبها ، ويمد صولجان ملكوته ، أى صليبه المحيى مصدر الرجاء وعلامة الأمان والمصالحة ، ويجيب طلبتها رافعاً وجهها إلى أبد الأبدين .

تواتر الطلبة وتكرار السؤال

قال الرب يسوع لاتكرروا الكلام باطلاً كالأمم الذين يظنون انه بكثرة كلامهم يستجاب لهم .. هذا أمر غاية فى الوضوح فالموضوع ليس فى الكلام ولا فى تكراره ، ولكن الأمر ينحصر فى من هو المتكلم مع الله ؟ وماهى طلبته ؟

بأى قلب يقترب إليه وبإى شفتين ينطق أمامه ؟ .

والقلب المنكسر والمتواضع لايرذله الله .

وهو لايصد اذنه عن صراخ المساكين ، والصديقون صرخوا والرب استجاب لهم ، فداله القديسين لدى الله صارت تدفعهم إلى تكرار السؤال بغير خوف .

واللجاجة فى الصلاة أمر مستحب لدى الله مادام سؤال الصلاة مرفوع من قلب قديس ، بل ان الرب نفسه حثنا على اللجاجة فى الصلاة فى مثل قاضى الظلم وصديق نصف الليل ، لكى يدفعنا إلى عدم اليأس وعدم الفشل فى الصلاة .

وحتى إذا كانت نتيجة الصلاة تنتهى إلى ماانتهت إليه صلاة ابراهيم إلى الله من نحو سدوم إلا انها - أى الصلاة - صارت لابراهيم نعمة وعزاء وبركة الوجود مع الله والحديث معه وصارت فى ذات الوقت كشفاً وتفسيراً لعمل الله وبينه على عدل القضاء الإلهى إذ قد استنفذت خطية سدوم طول أناة الله ولطفه وإمهاله .

فى حديثه عن ٥٠ معناه ان عينه الصالحة وذهنه المقدس يرى حتى فى الاشرار ان هناك ابرار (لادينونة) .

توقع وجود الابرار وهكذا .. البار يرى البر فى جميع الناس والخاطئ يرى كل الناس خطــاه .

طيب القلب يشفع حتى فى الاشرار .

لايتخيل ان يقل عدد الابرار عن ٥٠ .

فهو يقول ٥٠ وهو واثق ، ثم إذ يفاجأ بانهم ليسوا بموجودين ، فيصير كما فى ذهول ، واقصى مدى يصل إليه ذهنه انهم ربما يكونوا قد نقصوا إلى ٤٥ وإذ يصدم بالحقيقة يبتدئ يتشفع بوجود ٣٠ .. إلى آخر .

أما ان يقل العدد عن ١٠ فهو ضرب من ضروب الخيال ، هنا يكف عن الكلام كمن صدم بخيال يبعد

كل البعد عن تصوره ويفوق خياله .. إذ وجد قوم خلت سيرتهم من البر ونقص عدد الابرار إلى هذا الحد فليحصلوا إذن على جزاء ضلالهم المحق .

تـــك١٩

عدد ١ –٣

فجاء الملاكان إلى سدوم مساء وكان لوط جالساً فى باب سدوم فلما رآهما لوط قام لاستقبالهما وسجد بوجهه إلى الأرض وقال ياسيدى ميلا إلى بيت عبدكما وبيتا واغسلا أرجلكما ثم تبكران وتذهبان فى طريقكما . فقالا لا بل فى الساحة نبيت . فالح عليهما جداً فمالا إليه ودخلا بيته فصنع لهما ضيافة وخبز فطيراً فاكلا .

لابد ان عشرة لوط البار لاب الآباء ومسيرته معه قبل ان يفترقا قد تركت على حياة لوط بصمات لاتمحى . فمهما تغيرت الظروف حول الانسان ، فهناك اساسيات للسلوك تكون قد ترسخت فى عمق الوجدان لايمكن للبيئة المستحدثة أن تأتى عليها ، وهذا مانقرأه من سلوك لوط البار تجاه الغرباء القادمين على غير ميعاد إلى مدينة سدوم ، ويكاد الانسان يشعر أنه امام اب الآباء تماما فى طريقة الاستقبال والاتضاع وإلحاح المحبة وبساطة الايمان التى قيل عنها « انه بالإيمان استضاف اناس ملائكه وهم لايدرون » .

على هذا نقول أن مايكتسبه الانسان من صحبة أحد رجال الله القديسين والوجود معهم ولو إلى حين ، سيظل كعلامة للطريق تهدى الخطوات مهما تشعبت بالانسان طرق الحياة .

كن رفيقا لاحد القديسين ، تتلمذ له ، وتسلم منه كيف يجب ان تسلك وترضى الله ، فالحياة المسيحية تسليم ينتقل من جيل إلى جيل وإلى مجئ الرب .

ففى لحظة من الزمن سبى بريق سدوم عينى لوط وخلبت الجنة الارضية فكره وقلبه فوقع أسير اسوارها معذبا نفسه البارة كل يوم مغلوبا بالسمع والنظر من سيرة الاشرار ، وافترق اب الآباء وافتقده بالوجه لا بالقلب ، فعاش بجسده فى سدوم أما قلبه فكان هناك متغربا مع ابراهيم فى رحلة السير مع الله .

كثيراً ماتختبر نوايا الانسان ، وعمق الاخلاص فيما يفعل أو يقول وكثيراً مايظهر الانسان غير مايبطن ، فهو يتمسك بحسب الظاهر بينما الداخل متسيب ، أو قد يبدو كريما مجاملاً بينما هو يتمسك بقرون الشح فى داخل نفسه ، وقد أثبت الآباء انهم كانوا مخلصين حقاً فيما

كانوا يمارسونه بايمان ، لان الافعال والاقوال عندهم كانت تصدر من اعماقهم دون رياء أو تزييف .

فالفرق فى السلوك بين راعوث وكنتها كان شاسعا ، فكلاهما اظهرتا نية تبعية نعمى فى رحلة الرجوع ، وبالفعل سارتا ورآها .. ولكن بعد قليل من كشف العقبات ارتدت الكنه راجعة إلى بيتها وعشيرتها بينما اكملت راعوث مشوار الحياة باصرار متخطية جميع العقبات والتخويفات ، وهكذا ظهر واضحا ماكان صادراً عن عمق وايمان وثقة ويقين ، وبين ماهو سطحى مزيف لا أصل له ولا عمق كزهر العشب .

وهكذا ظهر ايضا فى تلميذى عمواس مع الغريب المسافر معهم ، أراد ان يتجاوزهم ، ولكنهم ألحوا أن يمسكوه عندهم فحظوا بذاك النصيب العالى إذ اتكأ الرب على مائدتهم وانفتحت عيونهم فعرفاه .

ولكن إذا كانت رغبتهما فى إستضافته مجرد مجاملة كلامية ، واظهر المسافر تمنعاً بسيطاً لرضخا فى الحال وذهب كل إلى سبيله ولكنهما أصرا باخلاص إذ كانت الرغبة نابعة من القلب لامن الفم والشفاه .

فالصديق لوط فى دعوته للملاكين ان يمكثا عنده كان صادقا مخلصاً بكل ماتعنى الكلمة ، وقد غلب إخلاصه اعتذار الملاكين بل كما انغلبت محبة الرب من تلميذى عمواس المصرين على استضافته انغلب الملاكين من اتضاع لوط وشدة تمسكه ان يصنع معهما هذه الخدمة .. خدمة استضافة الغرباء ، وغسل ارجل القديسين ، واطعام الاخوة بكسر الخبز وتكميل المحبة .

ان علامة القديسين فى كل جيل هى الاتضاع ، ويحلو للنفس جداً التأمل فى دورة الاتضاع التى وطئتها اقدام الآباء ، وانت تنظر اليهم فى اتضاعهم لاتسأل عن افضل من هذا المنظر الروحانى إذ تشعر انك ترى صورة الله ومجد الخليقة الجديدة التى صارت لنا فى المسيح الذى قال تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم .

تأمل كيف ان لوط البار يدعو هذين الغريبين ، سيدى وكيف يقول متوسلاً اليهما ميلا إلى بيت عبدكما .

قال القديس بولس الرسول : « إذ كنت حراً من الجميع استعبدت نفسى للجميع » صار عبداً لجميع

الناس ، صار دونهم جميعاً حاسبا نفسه آخر الكل ، أقل الكل ، مثل السقط ، اصغر جميع الرسل ، وغير مستحق ان يدعى رسولاً ، وكانت كلماته الشهيرة « أنا ما انا » .. متشبها بسيده الذى اخلى ذاته آخذاً شكل العبد ..

ولكن لايظن احد ان اقتناء هذه الفضيلة فى انكار الذات ونبذها ووضع الانا إلى العبودية ، صار لدى الآباء بسهولة ويسر بل قد اقتنوها بالاتعاب وصلب الذات وجحد المشيئة بمعاناة وصلت حد الموت لان الحرب ضد الذات هى أقسى الحروب الروحية جميعاً .

هل يقدر الانسان ان يحنى ذاته بسهولة لآخرين ، هل يتنازل عن رأيه أو يقدم غيره فى الكرامة ، أو ما كان له ربحا هل يحسبه خسارة ؟ أنه أمر لازم جداً لخلاصنا ، يشجعنا منظر الآباء والأبرار وتدفعنا سيرتهم المتواضعة أن نقتفى اثارهم ونسير على ذات الدرب الذى وطئته اقدامهم كغنم تسعى فى اثر خطوات راعيها الحنون .

اضافة الغرباء على نحو مافعل البار لوط وابينا ابراهيم ، هى فضيلة يلذ للنفس ان تتأمل كيف تحلى بها الآباء وازدانت نفوسهم بها كزينة مقدسة روحية .

فاضافة الغرباء هى قبول للآخر غير المعروف لدينا ، والتى لاتربطنا به صلة ، لاقرابة ولاصداقة ولامعرفة ، ورغم ذلك نقبله الينا ، نرحب له ، نغسل رجليه ، ندخله إلى منزلنا ، نكسر له خبزنا .. إلى آخر هذه الأمور التى نقرأ عنها ..

هذه هى المحبة فى بساطة إذ ليس للذات منفعة فيها ، بل على العكس ففيها بذل وخسارة ، فها الصديق لوط يسجد إلى الأرض ، ويدعو هذين الغريبين سيدى بينما يدعوهما إلى منزله يدعو نفسه عبداً لهما .. فأين الذات واين الانانية وطلب الراحة الذاتية أومسرة الذات ولذتها أو مكانها ورفعتها فان انسكبت المحبة والخدمة على غير ذى قرابة ، أو معرفة ، أليس هذا دليلا على خيرية النفس وسكنى وازع الخير فيها .

هكذا صارت اضافة الغرباء علامة ملازمة لحياة الفضلاء ، فالقديس بولس الرسول يشترط فى الأرامل اللآتى تكرمهن الكنيسة ويصدق فيها ذات عمل وفعالية ان يكن قد اضفن الغرباء وغسلن أرجل القديسين وهكذا فى اختيار الأساقفة والكهنة صارت اضافة الغرباء ميزة قد تحلوا

بها اظهرت حياتهم كقدوة للآخرين ان كل منهم صار مضيفاً للغرباء كبرهان للحياة فى الروح وتزكية للدرجات الأسمى .

٤-١١

وقبلما اضطجعا احاط بالبيت رجال المدينة رجال سدوم من الحدث إلى الشيخ كل الشعب من اقصاها .

فنادوا لوطاً وقالوا له أين الرجلان اللذان دخلا اليك الليلة أخرجهما إلينا لنعرفهما .

فخرج اليهم لوط إلى الباب واغلق الباب وراءه

وقال لاتفعلوا شراً يااخوتى . هوذا لى ابنتان لم تعرفا رجلاً اخرجهما اليكم فافعلوا بهما كما يحسن فى عيونكم ، وأما هذان الرجلان فلا تفعلوا بهما شيئا لانهما دخلا تحت ظل سقفى فقالوا ابعد إلى هناك . ثم قالوا جاء هذا الانسان ليتغرب وهو يحكم حكماً ؟ .

الآن نفعل بك شراً أكثر منهما .

فألحوا على الرجل لوط جداً وتقدموا ليكسروا الباب

فمد الرجلان ايديهما وأدخلا لوطاً اليهما إلى البيت واغلقا الباب ، وأما الرجال الذين على الباب فضرباهم بالعمى من الصغير إلى الكبير فعجزوا عن ان يجدوا الباب .

الشذوذ هو انحراف خطير ، حينما تتسلط الغرائز الحيوانية على الانسان وتملك عليه ، تحدره إلى مادون مستوى الحيوان .

وليس هذا الأمر جديد في تاريخ البشر ، فها نحن في البدايات في سفر التكوين ونحن نرى هذا الشذوذ الخطير يسيطر في عدوى مخيفة قد شملت المدينة كلها من اقصاها إلى اقصاها ، من الحدث إلى الشيخ ، يالهول المصيبة .

هذه هي المدينة المعاقبة بنار وكبريت من وجه الرب القدوس الذى لاتتوافق طبيعته الإلهية المقدسة مع الدنس والنجاسة .

هذه هي المدينة التى ظن ابراهيم اب الآباء بعينه البسيطة الطاهرة انها لاتخلو من ابرار حتى ولو خمسون فقط إذ ان العين البسيطة تتوقع الخير دائما بينما العين الشريرة لاترى سوى الشر حتى فيما هو مقدس وطاهر .

لقد بين القديس بولس الرسول ، فى رسالته إلى أهل رومية ان غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس وأثمهم .

لذلك اسلمهم الله ايضا فى شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة اجسادهم بين ذواتهم .. لذلك اسلمهم الله إلى اهواء الهوان لان اناثهم استبدلن الاستعمال الطبيعي بالذى على خلاف الطبيعة .

كذلك الذكور ايضا تاركين استعمال الانثى الطبيعى .. اشتعلوا بشهواتهم بعضهم لبعض فاعلين الفحشاء ذكورا بذكور ونائلين فى انفسهم جزاء ضلالهم المحق .

ونستطيع ان نستدل من كلمات الوحى الإلهى على أمور جوهرية فى تقييم الأمور ولاسيما فى هذه الأيام التى انتشر فيها من ينادون بحقوق الشواذ واعتبار فجورهم أمر طبيعى ، وعدم الحكم عليهم أو اضطهادهم ، وهانحن نرى فى بلاد الولايات المتحدة ، صار الشواذ ينظمون المنظمات ويعملون الاحتفالات ويرفعون اصواتهم منادين بالحرية ويجاهرون بالفجور والشر دون أدنى خجل ومازاد الأمر سوءاً ومرارة انه تحت شعار الحرية الكاذبة فان وسائل الاعلام تروج لهذا الفجور الصارخ وساسة العالم يمالئونهم ويتوددون

اليهم إذ صاروا يمثلون قوة سياسية ، ومما يزيد الأمر أسفاً ان رجال الدين يقفون كمتفرجين كمن عجز عن مقاومة تيار غير عابئين بما يجرى حولهم .

أو كمن فقد قوة القداسة القادرة على فضح ظلمة النجاسة وشناعة الخطية ، أو كمن فقد سلاح كلمة الله التى تحارب الفجور فى كل جيل .

وهكذا فى هذا الزمان صارت الخطية ترفع رأسها والشيطان يفاخر ان له اتباع يروجون للنجاسة علناً وفى كل يوم وفى كل مجال على صفحات الجرائد وفى وسائل الاعلام كمن انتصر فى حرب على كل قوى القداسة .

ولكن هيهات فالمسيح القدوس له آلاف من الركب العابدة القديسة التى لم ولن تنحنى لبعل ولن ترضخ لارادته بل تبقى امينة لفاديها القدوس تبقى وتحفظ لتدين وتحكم على هذا الفجور حتى يوم الدين .

نعود إلى كلمات الرسول بولس

(١) هذه الأمور تستجلب غضب الله من السماء ،
وهذا عين ماكابدته سدوم وعمورة والمدن التى حولها .

(٢) اسلمهم الله .. أى تخلى كامل للنعمة ، وهذا فى حد ذاته أمر مخيف غاية الخوف إذ أن نعمة الله لايكون لها مكان ولا موضع ولا مسكن حين توجد النجاسة وشهواتها وفجورها إذ لاشركة للنور مع الظلمة ولا للمسيح مع بليعال .

(٣) لاهانة اجسادهم .. هذه الخطايا تهلك الروح وتطوح بالانسان بعيداً عن رحمة الله ، وليس هذا فقط بل تهين الجسد ايضا ، وأى اهانة !! .

حتى ان الروح يدعو هذه الأهواء غير المنضبطة « اهواء الهوان » ، فهى اهانة للانسان المخلوق على صورة الله فى القداسة والحق ، اهانة للجسد الذى يجب ان يكون هيكل الله ومسكن للروح .. يهان حتى يصبح مسكنا للشياطين وهزء لقوات الظلمة فى العرى والخلاعة .

(٤) على خلاف الطبيعة .. حتى الطبيعة نفسها بعيداً عن سمو الروح ، لم تجبل هكذا ، فالغريزة قوة مخلوقة مقدسة ، طاقة للبنيان ، لامتداد الحياة ، للخير ، لكل ماهو صالح ، أما الشذوذ فهو انحراف

ضد الطبيعة ، على خلاف الطبيعة ، إذ استلم الشيطان قوة او طاقة يبددها يخربها ويفسدها يحــرفها عــن مســارها الطبيعى ، إلى ماعلى خلاف الطبيعة .

(٥) اشتعلوا بشهواتهم ، هكذا صــارت الشهوات كالنار ، هكذا يصفها ايضا يهوذا الرسول فى رسالته محذراً المؤمنين فى الأيام الأخيرة أن يختطفوا البعض من النار مخلصين اياهم مبغضين حتى الثوب المدنس من الجسد ، أى الامور المادية التى تأتى عليها رائحة النجاسة أو شبه الشر .

وهذه النار الخبيثة – نار الشــهوات المنحرفة والشذوذ – تحرق كل شئ ، تحرق من النفس كل فضيلة ، وكل زيت الروح ، وكل مبادئ طيبة أو مثاليات ، حتى الاخلاقيات البشرية وحســن السلوك ، تحرق كل خير الروح .. يكفى ان تتأمل بعض ملامح هؤلاء كما هو مكتوب .

« مملوئين من كل اثم وزنا وشر وطمع وخبث مشحونين حسداً وقتلا وخصاما ومكراً وسوءاً ،

نمامين ، مفترين ، مبغضين لله ثالبين متعظمين مدعين مبتدعين شروراً غير طائعين للوالدين ، بلا فهم ولاعهد ولاحنو ولارضى ولارحمة ...... »
(رو١ : ١٩–٣١) .

لقد جاءت الشهوات البطالة على كل شئ ، إحترق كل شئ واصبحت النفس كحقل مقفر تماماً عاريا من كل فضيلة .

(٦) نائلين فى انفسهم جزاء ضلالهم المحق

هذا الضلال المحق .. الذى لاخلاف عليه ولاجدال فيه ، يخرب النفس والجسد جميعاً ، ومايناله هؤلاء الشواذ الذين لم يستحسنوا ان يبقوا الله فى معرفتهم ، حتى اسلمهم الله وفرط فيهم بحسب ارادتهم ان ماينالونه هو جزاء حق ودينونة عادلة .

فما نسمعه ونقرأ عنه كل يوم من انتشار مرض الايدز الخطير القاتل وفتك الامراض الأخرى النفسية والجسدية معا .. هذه هى دينونة الله العادلة فى الذين يفعلون هكذا ويعيشون فيه .

حقا إن خراب سدوم وإحراقها ليس قصة فى التاريخ بل هى واقع حى يجب ان تعيه النفوس القديسة فتتحفظ لنفسها كل يوم وتزداد تمسكا بالفضيلة وتكثر من ثمر القداسة لعلها تنجو من الغضب المعلن من السماء على فجور جميع الناس وأثمهم .

موقف لوط البار :

خرج إليهم واغلق الباب وراءه

لقد خرج فى حرص إلى هؤلاء الاشرار ، واغلق الباب وراءه خوفا على الضيفين من ان يسمعا كلام الشر الذى يتفوه به الاشرار ، أما عن نفسه فكانت تتعذب كل يوم مغلوبا من سيرتهم بالسمع والنظر ، ولاشك ان انفتاح الأذن والعين على افعال الأثم مهما تكن النفس باره أو متمسكه بالقداسة حافظة للعفة ، لاشك انها تخدش حياؤها ، وتتأذى حواسها النقية ، ومهما كان الشر مكروها ولكن مناظر الخلاعة وحركاتها القبيحة قد تنطبع فى مخيلة الانسان وقد يستخدمها العدو الشرير فى غفلة من الانسان ليسبى بها العقل ويحرك الحواس نحو شهوات الشر .

فمن الأفضل جداً ان يبتعد الانسان عن العثرات ويهرب من كل شبه شر حتى لايعرض نفسه لهذه التجارب الخبيثة ، هكذا خرج البار لوط اليهم لعله يقنعهم بالعدول عن شـــرهم ، وهكـذا ايضـا فى اتضـاع كلمـهم قائلاً « لاتفـعلوا شـراً يااخـوتى » .

كان لوط كارزاً بالبر كقول الرسول ولكن ، أيــن ؟ ولمن ؟ هذا هو صلب الموضوع .

تضحية فوق المعقول :

إذ رأى لوط نفسه أمام تيار شر جارف ونفوس التهبت بالنار وإذ وجد نفسه ضعيفا عن مقاومة هذا البحـر الغضوب ، عرض أن يقدم ضحية لعلها تطفى هذه النار المتأججة ، عرض ان يقدم ابنتين عذارى كانتا له !! عن ان تكونا فدية للضيفين الذى دخلا تحت سقف بيته ؟ .

ياللعجب ، صار كمن يبذل نفسه فدية عن آخرين ، قبل ان يجوز فى نفسه ألم ذبح ابنتيه بخناجر الشهوات الوحشية ، على أن يعتدى على أناس غرباء استضافهم باسم الــرب .

تجبر الاشرار

على ان جبروت الشر ازداد عنفاً ، فلا الاتضاع ولا الفدية ولا كلام العقل يقنع من باع نفسه للشر واسلمه الله إلى الذهن المرفوض جحدوا كل شئ ، ولوط الساكن في وسطهم منذ زمن صار غريبا عنهم فى لحظـة من الزمان ، وهو بالحق متغرب بينهم ، متغرب عنهم ،، فأين الاشرار من الوفاء والاخلاص ؟ .

وأين هم من أبسط قواعد الحب ؟ .

انقلبوا ضده ، وهددوه بالشر ، وألحوا عليه جداً وتقدموا إلى كسر الباب ، هنا تدخل الملاكان .. مدا ايديهـما وادخلا لـوط .

وضربا رجال المدينة بالعمى فصاروا يلتمسون الباب ولايجدونه وزاد عليهم عمى العيون الجسدية فوق عمى البصيرة فانطمست قوى الرؤيا جميعاً وصاروا فى ظلام الظلمة المدلهمه التى انتهوا إليها إلى أبد الدهور .

عدد : ١٣-١٤

وقال الرجلان للوط من لك ايضا ههنا اصهارك وبنيك وبناتك وكل من لك فى المدينة اخرج من المكان .

لاننا مهلكان هذا المكان اذ قد عظم صراخهم أمام الرب فارسلنا الرب لنهلكه ، فخرج لوط وكلم اصهاره الآخذين بناته وقال قوموا اخرجوا من هذا المكان لان الرب مهـلك المدينة . فكان كمازح فى أعين أصهاره .

اكراما للبار طلب الملاكان ان يكلم لوط انسباءه الأقربين ليخلصهم ، فان كان اثر حياة لوط قد انعدم تماما فى مدينة الاشرار ولم يستفد احد من وجوده كشاهد لله كارز بالبر ، فليس اقل من ان يكون أنسباءه واصهاره أهـل للخلاص والنجاة .

فإن فشل الانسان ان يكون كارزا للآخرين ، فليس أقل من اهل بيته المطلعين على سيرته والملاحظين طريقه فى الرب ولكن قد خاب الظن ، إذ كان تيار الشر أقوى وأقسى وأثر البر أقل واضعف .. لقد احب الناس الظلمة أكثر من النور لأن اعمالهم كانت شريرة .

زد على ذلك انهم لم يرفضوا الكلمة فحسب ، بل استهزأوا بها افتكروه يمزح .. ياللمرارة .

لقد خرج اليهم الرجل فى الليل فى آخر فرصة قبل انقلاب سدوم .. ولكنهم لم يكونوا اهلاً للنور ولا للنهار ، كانوا رجال ظلمة وظلام فرفضوا دعوة النور .

يأبى الاشرار ان يستيقظوا من غفلة الشر ، يكرهون ان ينبههم أحد إلى المصير المحتوم .

لقد خلص نوح زوجته وبنيه ونساء بنيه إذ آمنوا ورضوا ان يركبوا معه الفلك .

ومن المدهش ان راحاب الزانية ، لم تهلك مع العصاه ، إذ قبلت الجاسوسين بسلام وآمنت بمواعيد الله ، وإذ علقت حبل القرمز من كوه بيتها صار لها كعلامة دم الفصح فكان لها نجاة هى وأهل بيتها جميعاً . حقاً لقد كان أهل سدوم اكثر شراً حتى لم يفلت منهم احد حتى اصهار لوط .

ولما طلع الفجر كان الملاكان يعجلان لوطاً قائلين قم خذ امرأتك وابنتيك الموجودتين لئلا تهلك باثم المدينة .

ولما توانى امسك الرجلان بيده وبيد امرأته وبيد ابنتيه لشفقة الرب عليه واخرجاه ووضعاه خارج المدينة .

وكان لما اخرجاهم إلى خارج انه قال اهرب لحياتك .. لاتنظر إلى ورائك ولاتقف فى كل الدائرة . اهرب إلى الجبل لئلا تهلك .

هذا الخروج من دائرة الشر مؤازر من الملائكـة القديسين ، هو ايقونة الخلاص فى كل اجيال البشر .

فنار الحريق وكبريتها النازل من السماء لم تكن سوى استحقاق عادل لنار شهوات الفجور والشذوذ .

وهى ذاتها يصفها يهوذا الرسول فى رسالتـه القصيرة العميقة ، اذ يحث الكارزين خلصوا البعض بالخوف مميزين مختطفين من النار مبغضين حتى الثوب المدنـس من الجسد .

فالخلاص ليس للجميع بل للبعض .

والتميز يصير بين نفوس ترغب فى النجاة ونفوس أخرى ترفض مشورة الله .

والكارز فى الأيام الأخيرة يخلص البعض بالخوف .. خوف على من يكرز لهم لينجيهم من النار ، وخوف على نفسه لئلا بعدما يكرز للآخرين يصير هو نفسه مرفوضاً .

وليس هذا فقط بل يصير الكارز كمن يختطـف من النار ، انها عملية إنقاذ من حريق خطير ، غاية فى الجدية والخوف ، وإذ تكن رائحة النار قد أتت على كل شئ ، فاوصى الرسول ان يبغضوا ليس الشر وجسد الخطية وطرق

الاشرار واعمال الفجور فحسب بل حتى الثوب المدنس من الجسد .

أى الامور المادية التى فيها شبه الشر .. هذا هو طريق الخلاص كما رسمه رسول يسوع المسيح فى كلمات الوحى الإلهى لان الاطهار – الثلاثة فتية القديسين – لم تمسهم النار قط بل رائحة النار لم تأت على ثيابهم .. انها ثياب القداسة .

والقديس يهوذا الرسول يرسم صورة صادقة لما حدث ولما هو حادث فى كل زمان .

كان إذ طلع الفجر ان الملاكان يعجلان لوط .

توجد دائماً حركة معطلة للخلاص تقود للتلكؤ والبطء وتصبو نحو التأجيل والمماطلة ،وهى إذ تتحرك فى الانسان تحبب له التمسك بتلابيب العالم والعالميات ، ويقع بريق هذه الحركة الكاذبة على كل مادى زائل لكى تكسبه هذه الاضواء المزيفة قيمة غالية لاى النفس فيتمنى الانسان تلك الاوقات لو اقتنى العالم كله ولو امكنه انقاذ كل مايملك .. لقد صار كل شئ قيما ومفيداً ونافعاً وغالياً فى لحظة من الزمان .

وقد يصير المعنى اكثر وضوحاً إذا تمثلنا انسانا ساكنا فى منزل جمع فيه كل مقتنيات الدنيا ومشتهيات النفس ثم شب حريق مفاجئ وارتفعت ألسنة النار تلتهم كل شئ وهو إذ يفكر ان ينقذ مقتنياته ، ويحاول جاهداً ان يجمعها ويحملها ، فماذا عساه ان يفعل ، إنه تحصيل حاصل ، ولو توانى لأتت النار ليس على المقتنيات فقط بل عليه هو ، ففيما يحاول ان يحفظ امواله يكون قد خسر نفسه بجملتها .

كان الحال هكذا بالنسبة لامرأة لوط وبناتها ، لقد كان خروجهن من سدوم أمر مكروه وهن يجبرن عليه ، فتثاقلن فى لم الحطام وصار كل شئ ثميناً ، لايمكن تركه أو الاستغناء عنه ، وحاولن ان يأخذن كل شئ .

إن قنيه العالم الحقيرة ، حطامه الزائل هو من أكثر المعطلات للخلاص انها ثقل كبير ان تمسكت به النفس يهوى بها إلى اسفل .

بينما القديسون ، يقبلون سلب أموالهم بفرح ، فان العالميين تأسرهم الملكيات وتعوق حركة الروح كلما ارادوا الانطلاق .

ولكن حان الوقت وهن مازلن فى الارتباك والحسرة والتثاقل فبدأ الملاكان يتعجلان الجميع .

ولما توانى أمسك الرجلان بيده وبيد امرأته وابنتيه لشفقة الرب عليه واخرجاه ووضعاه خارج المدينة .

آه من هذا التوانى البغيض الذى قد يفقد الانسان خلاص نفسه ، لان التوانى مرض يصيب الارادة فيجعلها تتخلف عن الركب وتتباطئ فى المسير وتتقاعس عن الجهاد الموضوع .

ولكن ياللمحبة الغامرة وياللشفقة واللطف الإلهى نحونا ، ويالخدمة الملائكة الاطهار لأولئك الذين ينالون حظوة لدى القدير ، لقد بادر الملاكان إلى عمل الخدمة ، وتدخلا فى الوقت الحرج للخلاص والانقاذ والمعونة .

امسك الملاكان بيد البار وامرأته وابنتيه ، وحملاه حملاً إلى خارج البيت والمدينة ، حقا ان الله يرسل ملائكته كارواح خادمة للعتيدين ان يرثوا الخلاص تسد أفواه الاسود ، وتخلص من النار وتحوط بكل خائفى الرب وتنجيهم .

ففيما نحن نتوانى فى حركة الانسلاخ من العالم والخروج الارادى خارج دائرة الشهوات والمؤثرات إذ بالرب يرسل ملائكته وبيد قوية يخرج نفوس عبيده هذه نعمة وكثرة احسان من الرب الإله .

وكان لما اخرجاهم إلى خارج انه قال اهرب لحياتك .. لاتنظر إلى ورائك ولاتقف فى كل الدائرة .. اهرب إلى الجبل لئلا تهلك .

الهروب .. خطة إلهية مضمونة النتائج ولاسيما فى حروب الشهوات الجسدية ، كالهروب من النار المشتعلة ، فالكتاب يقول اهربوا من الزنى ، والقديس بولس الرسول يوصى تلميذه القديس تيموثاوس قائلا أما الشهوات الشبابية فاهرب منها فهى ان كانت معتبرة انها عمل سلبى فيه الابتعاد والهروب من اماكن الشر وشهوات الفساد ولكنها توفر على الانسان متاعب كثيرة وتحميه من نكبات الانحلال .

اهرب لحياتك .. ليتها تكون محفورة داخل القلب والضمير ، يحذر بها الملاك من هو اهل الخلاص والنجاة .

لاتنظر إلى ورائك .. لان الارتداد إلى خلف حركة

قلبيه خطيرة كارتداد قلب بنى اسرائيل بعد خروجهم من ارض العبودية .. كم كانت هذه الحركة مجلب الغضب ، لان باكثرهم لم يسر الله ، فمقتهم واقسم فى غضبه انهم لن يدخلوا راحته فطرحت جثثهم فى القفر .

احذر ايها الحبيب لئلا يرجع قلبك إلى العالم ، لاتنظر إلى ورائك ، بل قل مع الرسول .. انسى ماهو وراء وامتد فيما هو قدام ، لان ليس احد يضع يده على محراث الحياة وينظر إلى وراء (وماتركه من اجل الرب) يصلح لملكوت الله .

ولاتقف فى كل الدائرة .. اخرج خارج مجال تأثير الأمور القديمة .. حتى لاتجذبك اليها مرة أخرى ، واستمع إلى قول بطرس الرسول عن اتباع الشيطان المروجون بضاعته النجسة فى حيل الضلال انهم « يخدعون بشهوات الجسد فى الدعارة من هرب قليلاً من الذين يسيرون فى الضلال » (١بط ٢ ١٨) .

فمن هرب قليلاً يمكن ان يسترده العالم مرة أخرى ، يجذبه ، ويخدعه ويقوى عليه ، إذ لم يبتعد كثيراً ولاتغرب عن موطن الفساد أما من هرب كثيراً ، أى ابتعد كثيراً ،

وصارت بينه وبين ماتركه هوه ومسافة عظيمة ، كيف يعود إليه ، كيف تلحقه يد العالم ، لقد صار بعيداً عن المنال .

١٨-٢٢

فقال لهما لوط لاياسيد هوذا عبدك قد وجه نعمة فى عينيك وعظمت لطفك الذى صنعته إلى باستبقاء نفسى وانا لااقدر ان اهرب إلى الجبل لعل الشر يدركنى فاموت .

هوذا المدينة هذه قريبة للهرب اليها وهى صغيرة . اهرب إلى هناك أليست هى صغيرة فتحيا نفسى . فقال له انى قد رفعت وجهك فى هذا الأمر ايضا لاأقلب المدينة التى تكلمت عنها .

اسرع اهرب إلى هناك لانى لا استطيع ان افعل شيئا حتى تجئ إلى هناك .لذلك دعى اسم المدينة صوغر .

رأى لوط البار ان الامر جد خطير ، وان انقلاب سدوم صار وشيك الحدوث ورأى ايضا ان الجبل الذى قال له الملاكان ان يهرب اليه ، رآه بعيداً قد يأخذ الهرب إليه وقـت كبير ، وخشى ان يلحقه الضرر قبل ان يصل إلى

الجبل ، فتضرع إلى الملاك أن يهرب إلى قرية صغيرة كانت أقرب إليه من الجبل .

من اختبر وعرف ماهو الحديث مع الملائكة ، وماهى الكلمة التى ينطقون بها مرسلين من الله ، يعرف كيف تكون كلمة الملاك قوية ورهيبة ، وان أى تعد أو مخالفة تستحق عقاب ومجازاه ، والأمثلة على ذلك كثيرةولكن دائما ابداً يكون موقف الملائكة المرسلة للمعونة ، موقف الشفقة الحنان ، ودائما ماتكون كلماتهم كما كانت لدانيال « كلمنى بكلام طيب وكلام تعزية » إذ هم لايفعلون شيئاً فى تلقاء انفسهم ، بل هم صانعون ارادته عن سماع صوت كلامه منفذين مشيئته بكل تدقيق .

على هذا لم يشأ لوط البار ان يخالف كلمة الملاك ووصية لم يرد ان يتعداها بل توسل أن يغير الهروب إلى الجبل ، بالهرب إلى صوغر .

هنا نستطيع ان نلمح التغير فى الفكر من نحو العالم .. لقد نظر من زمن إلى سدوم واختارها للسكنى إذ كانت فى عينه كجنة الرب كارض مصر ، أما الآن فهو يبحث

عن قرية صغيرة .. يسكنها فى اتضاع ويحتمى فيها كملجأ .. انها مجرد مخبأ وليست للتمتع والتنعم .

وإذ سمح له الملاك وقبل تضرعه ذهب إلى هناك .

وإذ اشرقت الشمس على الأرض دخل لوط إلى صوغر ، فامطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا وناراً من عند الرب من السماء ، وقلب تلك المدن وكل الدائرة وجميع سكان المدن ونبات الأرض .

استمع إلى يهوذا الرسول ينطق بالوحى من جهة هذا الأمر فيقول : « أن سدوم وعمورة والمدن التى حولها إذ زنت على طريق مثلهما ومضت وراء جسد آخر جعلت عبره مكابدة عقاب نار أبدية » .

فالرسول يوضح علة الأمر كله وقد أعتبر ان الزنى الحسى الذى عاشت فيه تلك المدن ، كان انعكاساً للبعد عن الله والانفصال عنه للجرى وراء آخر ، أى وراء الجسد والشهوات ، إذ ان الالتصاق بالعالم وشهواته معتبر فى عرف الروح انه زنى كما عبر يعقوب الرسول « ايها الزناه والزوانى أما تعلمون ان محبة العالم عداوه لله ، فمن اراد ان يكون محباً للعالم فقد صار عدواً لله » .

بل ان يهوذا الرسول يرى ان نار حريق سدوم وعمورة

والمدن التي حولها لم تكن نار وقتية ، بل لقد كانت النار الخارجية هى الأثر المرئى للنار الأبدية التى كابدتها تلك المدن التي حلت بها دينونة الله العادلة .

لقد أمطر الرب من السماء ناراً وكبريتا على سدوم وعمورة ، وليس بعجيب ان يصف الروح القدس ، العذاب الابدى الذى سيكابده الاشرار فى الدينونة الابدية انهم يلقون فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت .

« وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة فنصيبهم فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذى هو الموت الثانى » (رؤ ٢١)

هكذا كانت نار جهنم ، نار العقاب الابدى ، قد انسكبت من السماء على سدوم وعمورة كإعلان للدينونة الأبدية واجرة الخطية التى هى للموت الأبدى أى الموت الثانـى .

ونظرت امرأته من ورائه فصارت عمود ملح

قال ربنا يسوع المسيح فى معرض حديثه عن مجيئه الثانى المخوف « كذلك أيضا كما كان فى ايام لوط كانوا يأكلون ويشربون ويشترون ويبيعون ويغرسون ويبنون . ولكن

اليوم الذى فيه خرج لوط من سدوم وعمورة أمطر ناراً وكبريتا من السماء فاهلك الجميع .. هكذا يكون فى اليوم الذى يظهر فيه ابن الانسان » .

فى ذلك اليوم من كان على السطح وامتعته فى البيت فلا ينزل ليأخذها والذى فى الحقل كذلك **لايرجع إلى الوراء .. اذكروا امرأة لوط** (لو١٧) .

إن ذلك اليوم يفاجئ الاشرار بغتة كالمخاض للحبلى فلا ينجون .. إذ هم منغمسون فى ملاذ الدنيا وشهوات الغرور .

أما المعينين للخلاص ، فبقوة الله محروسين ، وبيد الملائكة ينقذون إلى خارج دائرة القصاص ..

ولكن لابد لنا ان نعى درس امرأة لوط كما قال الرب اذكروا امرأة لوط « لقد حسبت مع الخارجين ولكنها لم تصل إلى ميناء الخلاص » .

لقد خرجت من ارض الشهوات بجسدها ولكن روحها وقلبها كان راجع إلى وراء .

لقد كانت وصية الملاك صريحة لاتنظر إلى وراء ،

فخالفت الوصية ولم تقم اعتباراً لكلمة .

من طلب ان يخل نفسه يهلكها ، ومن اهلكها يحيها ، فمن تمسك بالعالم أو التصق به أو انحاز إليه بالقلب أو بالفكر فلابد أن يفنى بفنائه ويهلك بهلاكه . أما من ألتصق بالرب فهو يحيا إلى الأبد .

إن قصة الخلاص واحدة عبر الأزمنة ومن إستفاد من الدروس واستوعبها يتمم خلاصه بخوف ورعدة عالما ان كثيرين ابتدأوا بالروح وكملوا بالجسد ، وأن العبرة بالنهايات دائماً .

وبكر ابراهيم فى الغد إلى المكان الذى وقف فيه أمام الرب ، وتطلع نحو سدوم وعمورة ونحو كل ارض الدائرة . ونظر وإذا دخان الأرض يصعد كدخان الأتون .

فى مكان الشفاعة ومكانة التوسل وقف اب الآباء يتطلع من بعيد ، بعد ان حالت الخطية دون تدخل النعمة اذ قد اسلموا انفسهم إلى اهواء الهوان ، وإذ سقطت المدينة إلى اسفل ملتهبة بناء الشهوات محترقة بنار وكبريت صعد دخانها كما من أتون كما صعد شرها إلى عنان السماء .

لابد ان قلب اب الآباء اعتصر ألماً وإشفاقاً ، إذ ليست مشيئة لدى الله الذى يحبه ان يهلك أحد ، ولكن يهلك الانسان الذى محرم نفسه من المراحم ويغلق على ذاته فى العصيان ، ويرفض النور ومشورة الله ولكنه فى ذات الوقت يعطى الرب الإله المجد ، كل المجد ، لان احكامه حق وعدل ومشيئاته مفحوصة ، العدل هو قدام كرسيه ، لذلك فان الله ممجد دائما فى كل صنيعه ، ممجد فى قديسيه ، وممجد عندما يدين الخطية ويبيد الشر ، والقديسون يباركون الله على جميع اعماله إذ هى حق وعادله معاً .

وحدث لما أخرب الله مدن الدائرة ان الله ذكر ابراهيم وارسل لوطاً من وسط الانقلاب . حين قلب المدن التى سكن فيها لوط .

من اجل ابراهيم إذن صار خلاص لوط من هذا الانقلاب .. ياللعجب !! .

ألم يكن لوط من البداية محسوباً انه شريك مسيرة ابراهيم ، وشريك ايمانه وغربته ؟ فان إنزلقت قدم الصديق فانحدر ليسكن فى مدينة الاشرار فإنه لاجل ابراهيم حبيبه يصنع إليه احسانا ورحمة .

« يعلم الرب ان ينقذ الاتقياء من التجربة ويحفظ الأثمة إلى يوم الدين معاقبين » (٢بط ٢ :٩) ولو لم يسطر الوحى هذه العبارة ، ماخطر على بال انسان ان خلاص لوط البار صار بسبب ابراهيم ، فاذ ذكر الله ابراهيم احسن إلى لوط ونجاه .

عدد ٣٠-٣٧

وصعد لوط من صوغر وسكن فى الجبل وابنتاه معه ، لانه خاف ان يسكن فى صوغر فسكن فى المغارة هو وابنتاه ، وقالت البكر للصغيرة ابونا قد شاخ وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض ، هلمَّ نسقى ابانا خمراً ونضطجع معه . فنحيى من ابينا نسلاً .

فسقيا اباهما خمراً فى تلك الليلة ، ودخلت البكر واضطجعت مع ابيها ، ولم يعلم باضطجاعها ولابقيامها .

وحدث فى الغد ان البكر قالت للصغيرة انى قد اضطجعت البارحة مع ابى نسقيه خمراً الليلة أيضا فادخلى اضطجعى معه فنحيى من ابينا نسلاً فسقتا اباهما خمراً فى تلك الليلة ايضا وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولابقيامها .

فحبلت ابنتا لوط من ابيهما .

فولدت البكر ابنا ودعت اسمه يوآب وهو ابو الموآبيين إلى اليوم .

والصغيرة أيضاً ولدت ابنا ودعن اسمه بن عمى وهو ابو بنى عمون إلى اليوم .

إذ قد اصابه ضرر بالغ من السكن فى وسط الأشرار ، وخرج من سدوم خالى الوفاض ، ولم يأخذ من كل مجدها الزائل شيئاً بل قد لحقته إلى جانب خساره الأموال والاملاك ، خسارة الزوجة إذ تعلقت بما هو وراء فصارت عمود ملح ، شهادة لجميع الأجيال وعبرة للمرتدين وراء والمتعلقين بالأباطيل ، فاذ ذاك لم يستطع لوط ان يسكن بين الناس ، سكن قليلاً فى صوغر ، ولكن اعتراه الخوف ، فاعتزل الناس جميعاً ساكنا فى الجبل منفرداً مع ابنتيه ، متغرباً عن الجميع .

لم يعد للبريق الخارجى معنى ولاوجود ، وارض الزرع والسقى والخضرة التى بدت كجنة فى الماضى سقطت من النظر إذ كشف الرب عن بوارها ورفدها فصارت كما هى

بالحقيقة تراب ورماد ، ومن ياترى يتعلق بالرماد أو يطلبه أو يسعى وراءه ؟ .

اما مافعلته ابنتا لوط فلا يخل من دروس ناجحة إذ ماأخذنا ماسجله الروح كانه مكتوب لتعليمنا « كل ماكتب كتب لاجل تعليمنا » ، لأن غير الفاهمين والجسدانيين وغير المؤمنين يعثرون بها وإذ يخدعهم العدو لسبب جهلهم وعمى قلوبهم « يحرفونها كباقى الكتب لهلاك انفسهم » إذ هى بالنسبة لهم اشياء عسرة الفهم ، فبذهنهم الجسدى يصير المكتوب لهم عثرة وصخرة شك ، أما عندنا نحن المخلصين فكل ماكتب هو نافع للتأديب والتقويم ومملوء من العبرة والفائدة لخلاص النفس .

ونستطيع ان نشير إلى بعض نقاط للاعتبار .

لابد ان أفكار غريبة ، من جراء السكنى فى وسط الاشرار تكون قد تسربت إلى ذهن وقلب البنتين إذ كانتا فى صغر السن حين استقرت الأسرة فى مساكن الاشرار ، وان مايترسب فى الطفولة من مفاهيم خاطئة قد يكون حصاده وبالاً فى مقتبل الايام ، فيجدر بالروحيين على قدر امكانهم ان يجنبوا اولادهم خطر البيئات الشريرة والخلطة الرديئة لان المعاشرات الرديئة تفسد الاخلاق الجيدة .

لم يكن للبار لوط ، ذنب ولا جريرة ، فـى كل ماحدث ، إذ سقتاه خمراً ، واذ اضطجعتا وقامتا ، وهو لم يعلم .

ان تعريف الخطية من البدء ، هو فعل الارادة الذاتية منفصلة عن الله ، منحرفة إلى التعدى ، وإذ ليس ارادة منحرفة لاتوجد خطية فالآن إذ صار البار لوط بغير ارادة ،بل بغير ادراك كالنائم فلا جنوح إلى الشر ولا رغبة فى انحراف ، ولا انقياد لشهوة غبية ولاتعدى فى طريق المعاصى ، فالرجل برئ فى كل ماجرى ، ضف إلى ذلك ان الصديق لوط فى تلك الايام كان شيخا متقدما ، وقد زاده درس حريق سدوم ارتفاعاً عن الدنيا وتعمقاً فى خوف الله وكرها للخطية التى عاش يعذب نفسه الباره لكونه ضداً لكل نجاسة ومحارباً لسيرة الاشرار فاذ كانت هذه هى شهادة الروح القدس من نحوه فليخز اذن جميع المشتكين عليه .

على انه يبدو من سرد الاحداث ، ان هذا الامر لـم يتكرر ، وهذا مايقودنا إلى الاعتقاد ان الأمر فى فكر البنتين لـم يتعد فعلاً ماهو مكتوب من نحو استـبقاء النسـل

واحيائه ، لم يكن الأمر دافعه الشهوات أو الفجور ولو ان الغاية لاتبرر الوسيلة ، فان كانت الغاية مقدسة فلابد ان تكون الوسيلة مقدسة ونحن لانحاول تبرير الاخطاء أو التماس الاعذار ، فالتصرف من جهة البنتين مشين معيب وان كانت تبدو ساحة لوط البار نظيفة لايشوبها كدر هذا الحدث الجسدانى الملوم .

جاءت ثمار هذه الخطية من البنتين ولادات لشعوب آثمة كل الأثم بعيده كل البعد ، فلايتصور ابداً ان يجنون من الشوك تيناً كقول الرب ، فان ولادات الطبيعة الساقطة تحمل كل صفات السقوط ، فولدت الكبيرة موآب وهو اب الموآبيين ، وولدت الصغرى بن عمى وهو ابو بنى عمون .

والدارس للاسفار يعلم كم كان هذان معقلاً مخيفا من معاقل الشيطان على مدى الاجيال وكم صارا فخ للشعب المختار على مدى اجيال كثيرة . وكم اثار الشيطان حروباً وصنع غوايات واغرق نفوس فى العطب والهلاك مستخدما جنوده من بنات موآب وبنى عمون الذين صاروا كالآلات فى يد شيطان الزنى والنجاسة والفجور وكل أمر غريب .

فالمولودون بحسب الجسد تأتى خطورتهم مع توالى السنين وتقدم الأزمنة إذ يتوالد الشر بسرعة ويتكاثر وينتشر بشكل مخيف ، فها اسماعيل ، وموآب وعمون .. إلخ .. قد صاروا شعوب لاتعد من الكثرة كحركة جسدية مقاومة للروح .

فإن ظهر ان البدايات ، لايعتد بها من جهة صغرها وحقارتها لكن النتائج النهائية كانت دائما جـديرة بالاعـتبار ..

ص ٢٠

١ ــ ٧

وانتقل ابراهيم من هناك إلى ارض الجنوب وسكن بين قادش وشور وتـغرب فى جــرار . وقال ابراهيم عن سارة امرأته هى اختى فارسل ابيمالك ملك جرار واخذ ساره .

فجاء الله الى ابيمالك فى حلم الليل وقال لها انت ميت من أجل المرأة التى اخذتها فانها متزوجة ببعل . ولكن لم يكن ابيمالك قد اقترب اليها .

فقال ياسيد أآمه باره تقتل . ألم يقل هو لى انها اختى وهى ايضا نفسها قالت هو أخى .

بسلامة قلبى ونقاوة يدى فعلت هذا . فقال له الله فى الحلم أنا ايضا علمت انك بسلامة قلبك فعلت هذا وانا ايضا امسكتك عن ان تخطئ إلىّ . لذلك لم ادعك تمسها .

فالآن رد امرأة الرجل فانه نبى فيصلى لاجلك فتحيا .

وان كنت لست تردها فاعلم انك موتاً تموت انت وكل من لك .

كنا قد تطرقنا للحديث عن هذا الموضوع فى التأمل فى الاصحاح الثانى عشر حينما تغرب اب الآباء فى مصر وقد اشرنا إلى ماحدث مع ملك جرار واستكمالاً للحديث نشير هنا إلى التدخل الإلهى العجيب كيف ان ربنا امسك هذا الرجل ابيمالك من ان يخطئ اليه إذ رأى سلامة قلبة ، حقاً عجيب هو الله فاحص القلوب .

تأمل ماكتبه الروح .. قال الرب لابيمالك انا ايضاً علمت انك بسلامة قلبك فعلت هذا وانا ايضا امسكتك من ان تخطئ إلىّ لذلك لم ادعك تمسها .

لقد امسك الرب ابيمالك عن ان يخطئ ، ومنعه من اتيان الشر امسك يده عن ان تمتد ، وحفظ رجله من الزلق . فلم يخطئ ولم يسقط .

والسؤال الذى يتبادر إلى اذهان الكثيرين

لماذا لايمنعنى الله من اتيان الشر ان كان يريدنى ان اكون له ؟ .

لقد فعل الرب ذلك لابيمالك اذ كانت الارادة كلها متجهة للخير منحصرة فيه ولم يكن ابيمالك يفكر فى خطية ولا فى شبه شر .

وكان الأمر مخفياً عنه لايعلم منه شيئاً .

وكان ان وقع فى خطية تكون كانها غير مقصودة ، أو خارجاً عن ارادته الواعية لانه لو علم الأمر على حقيقته لما اقدم على هذا العمل اطلاقاً لان تصرفه عندما علم انها زوجة ابراهيم ، يبرهن تماماً على صدق نيته وسلامه قلبه ، وتكفيه شهادة الرب نفسه فاحص القلوب ومختبر الكلى .

وهذا يختلف اختلافا جذريا عما نطلبه فى كثير من الاحيان ، قد تكون دوافعنا غير نقية وارادتنا منحدرة نحو

الشر ونلقى باللوم على الله لماذا لايمنعنا من اتيان الشر أو يعرقل طريق الخطية التى نسلكها ؟ .

ليس كذلك يكون الأمر ، بل إذا وجد فينا طريق مستقيم وقلب نقى ويد طاهرة واخذنا فى فخ مع عدم المعرفة فان النعمة تمد يدها لخلاصنا ، تكسر الفخ وتؤازرنا ان نخرج دون ان يمسنا ضرر .

شفاعة ابراهيم :

لقد وجه الرب نظر ابيمالك نحو ابراهيم ، انه نبى ، انه رجل الله ، انه بار وقديس ، وانت قد اسأت التصرف وان كان بنية نقية وبدون ارادة ولكن هو يصلى عنك ، فتشفى انت وكل بيتك .

يلذ لربنا فى كل الدهور ان يمجد قديسيه ، ويتمجد فيهم ، وهو فى جميع الأحوال سامع الصلاة الذى إليه يأتى كل بشر .

فعندما اراد الرب ان يصفح عن اصحاب ايوب البار إذ لم يقولوا الصواب فى الله كعبده أيوب ، طلب اليهم ان يصلى ايوب من اجلهم ويشفع فيهم امام القدير فيسامح جهلهم ويعفو عنهم .

ماأحوجنا إلى أمثال هؤلاء القديسن ، يتشفعون فى ضعفنا ومذلتنا يقفون امامه يتوسلون بداله وسؤال الصلاة التى تجد قبولاً امام عرش نعمة القدير .

وان كان ربنا – جل اسمه – هو الذى يوجه النظر إلى صلوات القديسين فلا نحتاج بعد إلى دليل لكى نبرهن على قوة شفاعتهم ودالتهم المقبولة لدى مخلصنا الله .

عدد ٨-١٣

فبكر ابيمالك فى الغد ودعا جميع عبيده وتكلم بكل هذا الكلام فى مسامعهم فخاف الرجال جداً ، ثم دعا ابيمالك ابراهيم وقال له ماذا فعلت بنا وبماذا اخطأت اليك حتى جلبت علىّ وعلى مملكتى خطية عظيمة .

اعمالاً لاتعمل عملت بى .

وقال ابيمالك لابراهيم ماذا رأيت حتى عملت هذا الشئ ؟ .

فقال ابراهيم انى قلت ليس فى هذا الموضع خوف الله البتة . فيقتلوننى لاجل امرأتى .

وبالحقيقة أيضا هى اختى ابنة أبى غير انها ليست ابنة أمى فصارت لى زوجة وحدث لما اتاهنى الله من بيت ابى انى قلت لها هذا معروفك الذى تصنعين إلى . فى كل مكان نأتى اليه قولى عنى هو اخى .

يوجد اشخاص لهم حاسة مرهفة نحو صوت الله واستجابة تلقائية لايحاء الروح ، فحينما يوحى اليهم حتى فى الحلم ، تجدهم بهمه منقطعة النظير يفعلون ماأمروا به ، وكثيرا ما استخدم الرب هذه الوسيلة لاسيما مع الملوك ورؤساء الشعوب مثل فرعون مصر فى أيام يوسف ونبوخذ نصر فى ايام دانيال إذ ان قلب الملك فى يد الله كجداول المياه ، يحركها حيث يشاء ويحولها من فكر إلى آخر ، بحسب ارادته الصالحة .

ويوجد اشخاص ، متبلدوا الحس ، لايقيمون اعتباراً لهذه الأمور مثل بلطشاصر الذى ابصر بعينيه ماأوحى به مكتوبا امامه على الحائط ولم يعتبر ، ومثل بيلاطس الذى ارسلت اليه زوجته تقول اياك وهذا البار ، فقد تألمت اليوم كثيرا فى حلم من اجله ، ولكنه لم يقم لهذا الكلام اعتباراً . وسلم السيد ليصلب .

أما ابيمالك ، فاذ كان ذا قلب سليم ، ويد نقية فاستحق ان يظلل الرب على يده فلم يخطئ ، وإذ ظهر له الرب فى الحلم بكر فى الغد ، على وجه السرعة دون تباطؤ أو تسويف لكى لا يقع تحت وطأة الشر ، لينفذ ماأمر به من قبل الرب .

وإذ قص على رجاله ماحدث صار خوف الله فى الرجال ، وهذا دليل مابعده دليل على أثر الذين هم فى مواقع المسئوليه على القاعدة العريضة ، كأثر الآباء على البنين ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، فابراهيم اب الآباء كم كان اثره حتى على اليعازر الدمشقى كبير خدمة وكرنيليوس قائد المئة ، كان الجند الذى يخدمونه يعيشون بالتقوى التى رأوها فى حياته .

هكذا إذ خاف ابيمالك الله ، سرت مشاعر الخوف هذه إلى رجاله الذين حوله فى مملكته .

تأمل كيف عاتب ابيمالك ابراهيم .. بكل لطف وبكل مهابة كان ممكنا ان يرد اليه ساره ويطرده طرداً من المكان إذ قد سبب له هذا .. مثل اهل كورة الجدرين الذى طلبوا إلى السيد المسيح ان يذهب عنهم .

ولكن في لطف يعاتبه قائلاً .. ماذا رأيت حتى عملت هذا الشئ ؟ .

وهنا تأتى اجابة اب الآباء تكشف عن أمر خطير جدير بالاعتبار « انى قلت ليس فى هذا الموضع خوف الله البته . فيقتلوننى من أجل امرأتى » .

علة الخطية إذن هى عدم وجود خوف الله فى النفس ، فإن خلت النفس من خوف الله ارتكبت افظع الجرائم .

تأمل كيف ان خوف الله منع القابلتين المصريتين من قتل اطفال بنى اسرائيل ؟ .

وكيف ان خوف الله فى قلب اللص اليمين رده من التجديف إلى الاعتراف بالمصلوب إلها ومخلصاً حين قال للص الآخر « أما تخاف الله » .

لهذا صرخ المرنم قائلا « سمر خوفك فى لحمى » وقيل ايضا « رأس الحكمة مخافة الله » .

تك ٢٠

١٤-١٨

فأخذ ابيمالك غنماً وبقراً وعبيداً وإماء واعطاهم لابراهيم ورد اليه ساره امرأته . وقال ابيمالك هوذا ارضى قدامك اسكن فى ماحسن فى عينيك .

وقال لساره انى قد اعطيت اخاك الفا من الفضة هاهو لك غطاء عين من جهة كل ماعندك وعند كل واحد فانصفت فصلى ابراهيم إلى الله . فشفى الله ابيمالك وامرأته وجواريه فولدن لان الرب كان قد اغلق كل رحم لبيت ابيمالك بسبب ساره امرأة ابراهيم .

ما من مرة يحدث سبى ، أو مايشبه السبى لأحد اولاد الله القديسين ، إلا ورد الرب سبى اولاده باملاك جزيلة فان كانوا يزرعون بالدموع فانهم يحصدون بالابتهاج .

فها ساره ترجع بكرامة ، دون ان يسمها ضرر ومعها املاك وهدايا وعطاياه .

وهاشعب بنى اسرائيل يخرج من مصر بغنى ووفرة املاك ، بآنية ذهب وآنية فضة .

وها لوط يرده ابراهيم من السبى مع غنائم وممتلكات .

وكان لما رد الرب سبى ايوب انه زاده ضعفاً مما كان له من الأملاك .

على هذا نجد دائما ، نهاية التجارب التى تحيط بالقديسين ، نهاية تضعها يد الله القدير لحساب اولاده .

فان بدت التجارب مخيفة في بدايتها ، إلا أن نهاية أمر خير من بدايته كما هو مكتوب .

ثم ها صلاة ابراهيم المقبولة لدى الله تبرهن على كونه بالحقيقة رجل الله ، بحسب شهادة الرب نفسه ، وها طلبه البار تقتدر كثيراً فى فعلها . فشفى الرب ابيمالك وامرأته وجواريه .





مطبعة دير البراموس